ترجمات ناشري

نساء صغيرات
Little Women

تأليف: لويزا ماي ألكوت

ترجمة: أمل عمر بسيم الرفاعي

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.
نشر إلكترونيا رمضان، ١٤٣٥/ يوليو، ٢٠١٤.

يمنع منعًا باتًّا نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

الإخراج الفني: ليـــــلى الألمعي
تصميم الغلاف: أسماء الصياح
التدقيق اللغوي: خيريــة الألمعي

نبذة عن الكتـــــاب

هذه النسخة من قصة نساء صغيرات هي ترجمة مختصرة للقصة.
تم نشر هذه القصة عام ١٨٦٨، بعد ثلاثة أعوام من انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية التي جرت بين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية.
تُصوّر هذه القصة معاناة عائلة تقطن إحدى المدن الصغيرة، كان ربّ العائلة السيد مارش الذي يعمل مبشرًا قد ترك زوجته وبناته الأربع لكي يلتحق بالجيش، حيث تجري جميع أحداثها أثناء تغيبه الذي دام لمدة عام.
أما المقولة التي تضمنتها القصة فهي أن تلك الفتيات الصغيرات السن كنّ بإرشاد والدتهن قد كرّسن أنفسهن لمساعدة الاخرين وتخلين عن التطلع إلى حياة الرفاهية التي تتطلع إليها من هن في سنهن، وكنّ رغم الصعوبات يُنجزن ما كان عليهن القيام به من أعباء ومن واجبات فرضتها عليهن ظروف الحرب وغياب الوالد والمعيل، ذلك لأنهن كن يعتبرن ذلك بمثابة السعي للوصول إلى مجتمع فاضل .

محتـــويات الكتـــــاب

نبذة عن القصة ٢
الفصل الأول..... ٤
الفصل الثاني: الاحتفال بيوم عيد الميلاد..... ١١
الفصل الثالث : الدعوة ١٧
الفصل الرابع: الحفل ١٩
الفصل الخامس: العودة إلى العمل والمسؤوليات..... ٢٥
الفصل السادس : تواصل مع القاطنين في المنزل المجاور ٢٨
الفصل السابع: زيارة إليزابيت للقصر الجميل..... ٣٨
الفصل الثامن : جوزفين تتصرف بانفعالية..... ٤٤
الفصل التاسع: زيارة ميج لصديقتها ٥٤
الفصل العاشر : التجارب..... ٥٨
الفصل الحادي عشر : أحلام المستقبل..... ٦٥
الفصل الثاني عشر : أسرار ٧٠
الفصل الثالث عشر : البرقية ٧٥
الفصل الرابع عشر: الرسائل..... ٨١
الفصل الخامس عشر: الصغيرة المتفانية..... ٨٣
الفصل السادس عشر: أيام عصيبة..... ٨٧
الفصل السابع عشر: الحقول الخضراء ٩٢
السيرة الذاتية..... ٩٨

الفصل الأول

كان ذلك اليوم من أكثر أيام الشتاء برودة، كانت الثلوج تتساقط بغزارة، كان أفراد عائلة مارش ملتفين حول الموقد في ذلك المنزل الصغير المتواضع.

تتألف عائلة مارش من كلٍّ من:

الوالدة السيدة مارش، وهي أرملة شابة كرّست نفسها وأوقاتها للأعمال الخيرية.

الابنة الأكبر سنًّا مارغريت، وهي شابة جميلة جدًّا في السادسة عشرة، شقراء، زرقاء العينين، بيضاء البشرة تحب ارتداء الثياب الفاخرة والعيش برفاهية.

جوزفين، وهي شابة في الخامسة عشرة، طويلة القامة، نحيلة القوام، ذات شعر طويل كثيف يُعتبر ـ كما تقول دومًا ـ صفة الجمال الوحيدة التي تُميّزها.

جوزفين فتاة طموحة ذكية، لكنها حادّة الطباع بعض الشيء، ولديها مخيلة واسعة؛ ما يجعلها تُمضي معظم الوقت في تأليف القصص، وبألا تهتم بما تهتمُّ به الفتياتُ ـ عادةً ـ في مثل سنها، وكل ما تطمح إليه هو أن تصبح ذات يوم إحدى مشاهير الكتاب.

إليزابيت وهي فتاة في الرابعة عشرة، تعشق الموسيقى، شديدة الحياء، رقيقة الإحساس إلى حدّ كبير، يُحبها كل من حولها لما تتميز به من رقة الطباع، أمنيتها في الحياة أن تتمكن من العزف بشكل جيّد على البيانو.

أما إيمي ـ الأصغر سنًّا ـ فهي طفلة جميلة، ذات شعر أشقر حريري، ورغم أنها لاتزال في الثانية عشرة إلا أنها تعتبر نفسها أهم فرد في العائلة، أمنيتها في الحياة هي أن تصبح من مشاهير فناني الرسم.

كانت الفتيات جالسات معًا حول الموقد تتبادلن الأحاديث حول الترتيبات المقبلة للاحتفال بعيد الميلاد وحول الهدايا التي ترغب كل منهن الحصول عليها والدور الذي ستقوم به كلٌّ منهن في المسرحية التي أعددن لها.

قالت مارغريت أو ميج ـ كما تُنادى في العائلة ـ :

"أنتن تعلمن بأن والدتنا قد اقترحت علينا عدم شراء أو تبادل الهدايا بمناسبة عيد الميلاد؛ لأن الشتاء يبدو قاسيًا جدًّا هذا العام؛ لذا فهي ترى أن علينا ألا نُنفق ما نكسبه من عملنا على بعض الأشياء التافهة المترفة، بينما يُعاني رجال البلدة من ظروف الحرب في هذا الشتاء القارص البرودة."

قالت جوزفين أو جو ـ كما تُنادى في العائلة ـ :

"لكن يوم الميلاد لن يكون بهيجًا بدون الهدايا؟"

قالت ميج وهي تنظر إلى الثوب القديم الذي ترتديه:

"من البغيض جدًّا ـ بالفعل ـ أن يكون المرء فقير الحال."

قالت جو: "لا تملك أيٌّ منا أكثر من دولار واحد، ولست أعتقد بأن مثل هذا المبلغ الزهيد من شأنه أن يعود بأية فائدة حتى لو تبرعنا به لأجل الجيش، لكنني على كافة الأحوال أوافق على ألا أتلقَ أية هدايا من والدتنا أو من إحداكن، وإن كنت في الحقيقة أرغب بإنفاق ما ادخرته من مال بشراء إحدى القصص التي أتطلع للحصول عليها منذ فترة طويلة."

قالت إليزابيت أو بيث ـ كما تُنادى في العائلة ـ :

"أما أنا فكنت أتمنى أن يكون بإمكاني شراء بعض المقطوعات الموسيقية التي أرغب التدرّب عليها."

قالت إيمي: "أما أنا فسوف أشتري علبة من أقلام الرسم الملونة لأنني أرغب بالحصول عليها منذ زمن طويل."

أضافت جوزفين: "حسنًا، لم تكن والدتنا قد أشارت إلى الطريقة التي سننفق بها ما لدينا من مدخرات، وهي كما أعتقد لن تطلب منا أن نتخلى عن كل شيء، لذا بإمكان كلٍّ منا أن تشتري ما ترغب به لكي نبتهج بهذا العيد، كنت قد عملت بكل جهد طوال الفترة الماضية لكي أحصل على هذا المال الزهيد."

أجابت مارغريت: "نعم، وأنا أيضًا كنت قد عملت بجهد، وكان عليّ أن أخرج يوميًّا في هذا الطقس القارص لكي أدرّس بعض أولاد العائلات الثرية."

قالت جوزفين التي تعمل مرافقة للآنسة مارش عمة والدها:

"لكنك لا تعانين ما أعانيه أنا، فهل بإمكان إحداكن أن تُمضي ساعات طويلة برفقة سيدة متقدمة في السن؟ من الصعب إرضائها، تتذمر من كل شيء،

وتشتكي بشكل مستمر؛ ما يجعل المرء يصل إلى درجة من الضيق تجعله يشعر بالرغبة بالبكاء أو بالقفز من النافذة."

قالت إليزابيت وهي تنظر إلى أصابع يديها:

"أعلم أنه يجدر بي ألا أتذمر، لكن ليس من السهل أن يُمضي المرء يومه في غسل الأطباق، وفي ترتيب وتنظيف المنزل، فهذا هو أسوأ عمل في العالم؛ لأنه يجعل يديّ تبدوان قاسيتين خشنتين؛ مما لا يمكّنني من العزف بشكل جيد على البيانو."

صاحت إيمي: "لا أعتقد بأن أيٌّ منكن تُعاني أكثر ما أعانيه أنا؛ لأن عليّ أن أحتمل سخرية الفتيات في المدرسة من ملابسي القديمة."

استمرت الفتيات بتبادل الأحاديث إلى أن أعلنت الساعة السادسة مساء وهو موعد عودة والدتهن من جولاتها على العائلات الفقيرة، وبذلك أخذت كلٌّ منهن تستعد لاستقبالها بكل بهجة وغبطة.

أضاءت ميج المصابيح وهيأت إيمي لها خُفّيْها المريحين.

وكانت جو عندما نظرت إلى الخفين قد قالت:

"أصبح الخفان قديمان تمامًا؛ لذا سوف أشتري لوالدتنا خفين جديدين."

قالت بيث على الفور:

"هذا ما كنت أفكر به أنا أيضًا، بل أنا من ستفعل ذلك."

ثم قالت ميج: "أنا أكبركن سنًّا؛ لذا فأنا من عليها أن تقوم بذلك."

لكن جو قاطعتهما بالقول: "أنا أحتلُّ حاليًا مقام رجل العائلة أثناء غياب والدنا؛ لذا سوف أشتري لها الخفين الجديدين. كان والدي قد طلب مني قبل مغادرته أن أولي والدتنا عناية خاصة أثناء فترة غيابه.

قالت بيث: "فإذن لتقم كل منا بشراء هدية لوالدتنا فقط، ولا داعيَ لأن تشتري كل منا أية هدية للأخرى.

قالت جو: "هذا جيد. علينا أن نفكر الآن بما ستشتريه كلٌّ منا لوالدتنا."

فكرت كل منهن لدقائق، ثم قالت ميج: "سوف أشتري لوالدتي زوجًا من القفازات."

وقالت جو: "سيكون زوج من الأحذية المتينة جيدًا بالنسبة لجولاتها في هذه الثلوج."

وقالت بيث: "أفكر بشراء بعض المناديل الجميلة لأمي فهي تحب المناديل."

أما إيمي فقالت: "سوف أشتري لها زجاجة عطر، والدتنا تحب العطور، كما أن هذا لن يجعلني أنفق الكثير من المال وبذلك سوف يتبقى لدي بعض المال كي أشتري لنفسي علبة من الأقلام الملونة."

وبعد أن قررت كل منهن نوع الهدية التي ستقدمها لوالدتها قالت جو:

"علينا الآن أن نبدأ بالتدرب على أدوارنا في المسرحية التي سنقدمها يوم عيد الميلاد.

أجابتها ميج: "هذه هي المرة الأخيرة التي سوف ألعب فيها أيَّ دور في مسرحية فقد كبرت على مثل هذه الأمور."

لكنها كانت في الواقع تحب التمثيل كثيرًا.

أجابتها جو: "لكنك الأفضل من بيننا في التمثيل، أما أنا فلن أجيد ذلك قط. كما أن ذلك سيتيح لك ارتداء الملابس الحريرية والمجوهرات لكي تختالي بها."

ثم التفت إلى إيمي وقالت لها: "والآن إيمي عليك أن تتدربي على دورك في الإغماء فأنت لا تجيدين ذلك."

قالت إيمي: "أرجوكِ جو، ليس بإمكاني أن أفعل ذلك فلم يسبق لي أن شاهدت من أغمي عليه، كما أنني لا أحب السقوط على الأرض. لن أستطيع أن أفعل ذلك بسهولة، قد يكون بإمكاني أن أفعل ذلك لو سقطت على أحد المقاعد."

قالت جو: "حسنًا لتفعلي ذلك. كل ما عليك أن تضمي يديك معًا وأن تترنحي عبر الغرفة وأن تصيحي: أنقذوني..."

وكانت قد أطلقت صرخة شبه حقيقية. حاولت إيمي أن تحاكي ما فعلته جو لكنها لم تفلح. وفي الواقع أن اختيارها لذلك الدور لصغر حجمها بحيث يسهل حملها وإنقاذها من الرجل الشرير وهي تصرخ.

أضافت جو: "بحق الله! ليس عليك أن تلوميني لو جعلت الحاضرين يسخرون من الطريقة التي تؤدين بها دورك."

قالت بيث وهي تنظر إلى شقيقتها بإعجاب: "أنت بالفعل يا جو تجيدين التمثيل كما تجيدين الكتابة."

كما قالت ميج: "سوف تكون هذه أفضل مسرحية نقدمها حتى الآن."

واستمرت الفتيات بالحديث والضحك إلى أن فُتح الباب ودخلت والدتهن. أسرعت كل منهن لاستقبالها قالت: "كم أشعر بالسعادة عندما أشاهدكن مُبتهجات بهذا الشكل!"

السيدة مارش سيدة في متوسط العمر جميلة الشكل، وعلى الرغم من أنها لم تكن ترتدي الملابس العصرية، لكن بناتها كنّ يعتبرن والدتهن المرأة الأكثر أناقة في العالم.

وكانت السيدة مارش بعد أن جلست في مقعدها المريح وأجلست إيمي الصغيرة على حجرها بينما كانت كلٌّ منهن تبذل ما بوسعها لتأمين وسائل الراحة لها قد سألتهن:

"حسنًا يا أحبائي، كيف أمضيتن يومكن؟ أعتذر لأنه لم يكن بإمكاني العودة بوقت أبكر." ثم قالت: "لديّ مفاجأة سارة سوف أعلمكن بها بعد تناولنا الشاي معًا..."

قالت جو ـ على الفور ـ : "أليست المفاجأة بشأن رسالة وردتنا من والدي؟"

أجابت السيدة مارش: "نعم، هي رسالة طويلة لطيفة ورقيقة من والدكن. هو بخير ويعتقد بأنه سوف يتمكن من احتمال برودة الطقس دون أن يُصاب بأي أذى."

قالت ميج: "أعتقد أن ذهاب والدي بصفة مُبشرّ رغم تقدمه بالسن، وضعف حالته الصحية يعتبر تصرفًا رائعًا من قِبله، فهذا العمل لايقلّ أهمية عن عمل الجنود المحاربين في الجبهة الأمامية."

ثم سألت بيث ـ بصوت مرتعش تخنقه الدموع ـ : "أمي! متى سيعود والدي!"

أجابت السيدة مارش: "ليس قبل مرور عدة أشهر عزيزتي ما لم يصب بمرض. سوف يمكث هناك ويستمر بأداء واجبه طالما كانت لديه الإمكانية لذلك، وعلينا نحن أيضًا ألا نطلب منه العودة قبل ذلك، سوف أقرأ لكنّ رسالته الآن."

جلست الفتيات حول والدتهن لكي يستمعن إلى ما ورد في رسالة والدهن. لم يكن السيد مارش في رسالته قد تحدث كثيرًا عن الصعوبات والمخاطر التي يواجهها في تلك الحرب، وإنما كانت رسالته تفيض بعبارات المحبة والحنان تجاه عائلته التي يفتقدها كثيرًا والتي يتطلع إلى اليوم الذي سيجتمع بها مجددًا بعد أن يؤدي واجبه. حيث قال:

"بلّغي محبتي وشوقي لبناتي العزيزات. قبّلي كلًّا منهن بالنيابة عني، وأعلميهن بأنني أذكرهن وأصلّي لأجلهن كل ليلة. أنا أعلم بأنهن سيذكرن دومًا ما طلبتُه منهن قبل أن أفارقهن، بأن عليهن أن يكنّ مطيعات لك، وبأن على كلٍّ منهن أن تؤدي واجباتها اليومية دون تذمر، وأن تحاول التغلب على أية نزعة للوقوع في

الخطأ لكي يكون بإمكاني عندما أعود، أن أشعر بالفخر بتلك النساء الصغيرات."

وكانت الفتيات عندما قرأت لهن والدتهن الفقرة الأخيرة من تلك الرسالة قد شعرن بالحزن، وكانت إيمي الصغيرة قد أخفت رأسها في صدر والدتها، وبدأت تبكي، بينما اغرورقت عيون ميج وجو وبيث بالدموع، وقالت إيمي:

"أشعر بأنني فتاة سيئة وأنانية، لكنني من الآن فصاعدًا سوف أبذل كل ما بإمكاني لكي أصبح أفضل؛ لأنني أريد أن يفخر بي والدي بعد عودته."

وقالت ميج: "هذا ما علينا أن نفعله جميعًا، فأنا أيضًا أفكر كثيرًا بنفسي وأكره عملي."

ثم قالت جو التي كانت تعلم بأن سيطرتها على نفسها تكون أحيانًا أكثر صعوبة من مواجهتها لجيش بكامله:

"سوف أحاول أن أكون كما يرغب والدي وأن أتخلى عن أنانيتي. لن أكون بعد الآن عنيفة الطباع وسوف أؤدي ما عليّ من واجبات يومية دون تذمر، بدلًا من أن أمضي الوقت في التطلّع إلى القيام بأمور أخرى أعتبرها أكثر أهمية."

ولم تكن بيث قد قالت شيئًا، وإنما مسحت دموعها، وهي تفكر بأن عليها أيضًا أن تبذل كل ما بوسعها لكي تكون كما رغب والدها (سيدة صغيرة).

ساد الصمت بين الفتيات لبعض الوقت إلى أن قالت السيدة مارش:

"هل تذكرن كيف كنتن وأنتن صغيرات السنّ تلعبن مسرحية (مسيرة الحاج)؟ كم كنتن تشعرن بالسرور عندما كنت أضع على ظهر كل منكن حملًا وأجعلكن تتجولن عبر غرف المنزل من الطابق السفلي الذي من يُفترض أن يكون مدينة الدمار إلى أن تصلن إلى أعلى سطح المنزل الذي يُفترض أن يكون المدينة الفاضلة لكي تحصلن هناك على الكثير من الأشياء الجميلة؟"

أجابت جو: "نعم أمي، نحن نذكر ذلك جيدًا بالطبع كان كل ذلك رائعًا بالفعل."

قالت بيث: "أما أنا فكنت أحب أكثر من أي شيء عندما كنا نقف معًا على سطح المنزل بعد أن تسقط الأحمال عن أكتافنا لكي ننشد الأناشيد الرائعة وننعم بأشعة الشمس."

وقالت إيمي: "لست أذكر كل ذلك جيدًا، كل ما أذكره هو أنني كنت أخاف دومًا من صعود السلالم المظلمة، لكنني مع ذلك كنت أستمتع بالطبع بما كنا نحصل عليه من أطعمة لذيذة عندما نصل إلى سطح المنزل ونُلقي الأحمال عن أكتافنا،

وحتى لو أنني قد أصبحت الآن أكبر سنًّا فأنا أحب أن نلعب مثل تلك اللعبة من جديد."

قالت السيدة مارش: "حسنًا عزيزاتي، ما رأيكن أن تلعبن هذه اللعبة من جديد أثناء غياب والدكن؟ على كل منكن أن تحاول بذل كل ما بوسعها لتحمل الأعباء اليومية المُلقاة على عاتقها، وأن تؤدي ما عليها من واجبات يومية بكل رضى ودون تذمر وسوف نرى إلى أي حّد سوف يكون بإمكانكن الوصول إلى المدينة الفاضلة قبل أن يعود والدكنّ ؟"

صاحت الفتيات معًا بصوت واحد: "نعم، نعم، دعينا نفعل ذلك أمي!"

ثم قالت ميج: "عندما نقول نعم فهذا يعني أن يكون علينا أن نحاول التصرف دومًا بشكل جيد، وهو الأمر الذي قد يكون عسيرًا في بعض الأوقات، لكن تلك المسرحية سوف تساعدنا لو حدث ونسينا ما اعتزمنا القيام به، على التصرف بشكل أفضل لكي نكون على مستوى النساء الصغيرات كما يرغب والدنا."

كانت حنا مديرة المنزل المحبة التي تعيش مع تلك العائلة منذ سنوات طويلة قد دخلت الغرفة لكي تأخذ الكؤوس والأطباق، وبذلك عادت الفتيات إلى أعمال الحياكة التي كنّ تجدنها مُملة، لكنهن في ذلك اليوم لم تُبدين أيَّ تذمر من ذلك. وعندما أعلنت الساعة التاسعة توقفت الفتيات عن الحياكة، وبدأت بيث تعزف على البيانو، وبدأت الفتيات تنشدن معًا بعض الأناشيد كما كان من عادتهن، ثم أَوَت كلٌّ منهن إلى فراشها.

الفصل الثاني

الاحتفال بيوم عيد الميلاد

كانت جو صباح اليوم التالي قد نهضت من فراشها باكرًا، لكن لم يكن بإمكانها أن تمنع نفسها من الشعور ببعض الحزن لغياب والدها عن المنزل في مثل تلك المناسبة وبألا تكون إلى جانب فراشها أية هدايا لا من والدتها ولا من شقيقاتها، كما كانت العادة يوم الميلاد. لكنها عندما نظرت إلى الجانب الآخر من الغرفة، كانت قد شاهدت على الطاولة الصغيرة رزمة صغيرة مُغلُفة بورق زاهٍ وبشريط أحمر اللون. عرفت جو على الفور ما تحتويها تلك الرزمة، فكرت بأنها لابدّ أنها تلك القصة الجميلة القديمة التي تروي الأسلوب الأفضل لحياة الإنسان والتي هي المرشد الحقيقي لأسلوب الكفاح للوصول إلى الفضيلة.

قامت جو بإيقاظ شقيقتها ميج التي كانت قد شاهدت أيضًا ذات الرزمة إلى جانب فراشها والتي كانت مُغلفة بغلاف وبشريط أخضر اللون، أما بيث فكانت رزمتها مُغلفة باللون الفضي اللؤلؤي، بينما كانت هدية إيمي مغلفة باللون الأزرق...

كانت على الصفحة الأولى من كلٍّ من تلك الكتب حاشية رقيقة كتبتها والدتهن؛ مما جعل تلك الهدية أثمن من أية هدية أخرى كانت الفتيات تتطلعن للحصول عليها بهذه المناسبة، لو لم يكن ذلك في ظروف الحرب وضيق الموارد.

توجهت الفتيات بعد ذلك إلى الطابق السفلي حيث من المفترض أن تكون والدتهن بانتظارهن؛ لكي تتناولن معًا وجبة الإفطار الخاصة التي تكون عادة بمثل هذه المناسبة غنية بمختلف أنواع الكعكات والمأكولات اللذيذة. كانت المائدة تبدو جميلة جدًّا بالأزهار التي تُزينها وبتلك الهدايا ذات الأغلفة الزاهية الألوان، لكن والدتهن لم تكن بانتظارهن فقد أعلمتهن مديرة المنزل حنا بأنه قد تم استدعاء والدتهن لمساعدة إحدى العائلات الفقيرة التي يشكو طفلها الصغير من عوارض الحمى.

قالت ميج: "حسنًا، لابد أن والدتنا سوف تعود بعد قليل؛ لذا فلنقم بإعداد كل شيء لاستقبالها، ثم نظرت إلى السلة التي تزينها الشرائط الملونة والتي كانت الفتيات قد وضعن فيها هداياهن. كان كلٌّ شيء جاهزًا، لكنها لم تعثر على هدية شقيقتها إيمي؛ لذا سألت:

"أين زجاجة العطر التي ستقدمها إيمي لوالدتنا؟"

أجابت جو: "كانت قد أخذتها منذ قليل لكي تضع عليها شريطًا ملونًا."

كانت بيث تتراقص وهي تحمل مجموعة المناديل التي ستقدمها لوالدتها وهي تقول:

"انظروا إلى هذه المناديل ألا تبدو جميلة وأنيقة؟ قمت بتطريز جوانبها بنفسي."

ضحكت جو، وقالت: "ما هذا شقيقتي! ليباركك الله، لقد وضعت عليها كلمة (أمي) بدلًا من أن تضعي اسم (السيدة مارش)."

قالت بيث: "لا بأس، فقد خطر ببالي أن الحرف الأول من اسم ميج هو الآنسة مارش؛ لذا أردت أن أميزها عن مناديلها."

قالت ميج: "لا بأس عزيزتي، سوف يسعدها ذلك كثيرًا، أنا متأكدة من ذلك."

سمعن صوت إغلاق الباب الخارجي للمنزل واعتقدن بأنها والدتهن؛ لذا أسرعن بإخفاء سلة الهدايا لكنها لم تكن والدتهن وإنما إيمي التي كان قد بدا عليها الارتباك عندما شاهدت شقيقاتها بانتظارها، وبذلك قالت:

"لا تسخرن مني. فقد ذهبت لاستبدال زجاجة العطر الصغيرة التي كنت اشتريتها لوالدتي بزجاجة عطر أكبر حجمًا، وأنفقت لقاء ذلك كل ما لدي من مال، ولن أشتري علبة أقلام الألوان، أردت بذلك ألا أكون أنانية بعد الآن كي يفخر بي والدي عندما يعود."

قبلتها شقيقتها ميج، وقالت: "هذا رائع حبيبتي!"

وكانت بيث قد توجهت إلى الحديقة، واقتطفت أجمل ما فيها من ورود، ووضعتها إلى جانب زجاجة العطر.

عندما سمعن من جديد صوت إغلاق الباب الخارجي أخفت الفتيات سلة الهدايا خلف الستارة وجلست كلٌّ منهن في مكانها أمام المائدة المعدّة لذلك الاحتفال المتواضع بيوم الميلاد. صاحت جو:

"بيث اعزفي الآن الموسيقى على البيانو، هاهي والدتنا قادمة. افتحن الباب ثلاث تهاليل لوالدتنا."

وكانت جو عندما دخلت والدتهن قد أخذت جو بيدها و أجلستها في مقعد مريح. ثم قالت كلٌّ منهن لوالدتها وهي تقبلها: "يوم ميلاد سعيد أمي، شكرًا لك على الكتاب القيّم سوف نقرؤه يوميًّا، ونحاول أن نعمل بما ورد فيه."

ابتسمت والدتهن، واغرورقت عيناها بالدموع، وقالت: "يوم ميلاد سعيد يا أحبائي، لكن بودي أن أقول بضع كلمات قبل أن نبدأ بتناول الإفطار. هناك على مسافة قريبة من منزلنا سيدة فقيرة الحال لديها طفل رضيع وستة أطفال صغار السن، وجدتهم مستلقين في فراش واحد كي يشعروا بالدفء، وليس لديهم حتى ما يقوتهم من طعام، فهل توافقن على أن نتبرع لتلك العائلة بما لدينا من أطعمة كهدية في هذا اليوم المبارك؟"

لاشكّ أن الفتيات كنّ جائعات جدًّا وأنهن كن ينتظرن عودة والدتهن؛ لكي يتناولن ذلك الإفطار الشهي، ولكن بعد دقيقة واحدة لم تكن خلالها قد صدرت عنهن أية إجابة كانت جو قد أجابت:

"أنا سعيدة لأنك عدت قبل أن نبدأ بتناول الإفطار."

ثم أضافت بيث: "وأنا أيضًا. هل بإمكاني أن أساعدكما بحمل هذه الأشياء إلى تلك العائلة الفقيرة؟"

ثم قالت إيمي ـ أيضًا ـ : "سوف أحمل إليهم بنفسي هذه الكعكات والكريمة، فأنا على استعداد للتبرع لهم بكل ما أحبه من مأكولات."

وكانت ميج قد بدأت على الفور بجمع الأطعمة المنتشرة على المائدة ووضعتها في سلة. قالت السيدة مارش:

"كنت متأكدة من أنكنّ ستفعلن ذلك. سوف نذهب جميعًا معًا؛ لكي نقوم بكل ما بإمكاننا لمساعدة لتلك العائلة، وبإمكاننا لدى عودتنا أن نكتفي بتناول وجبة إفطار متواضعة من الحليب وبعض الأجبان والخبز إلى أن يحين موعد تناولنا لوجبة الغداء.

وكان الجميع قد حملوا كل ما لديهم من كعكات وحلوى ومن مختلف المأكولات، كما كانت حنا قد حملت بعض الخشب؛ لكي يتم إشعال الموقد في ذلك المنزل المتواضع، ثم توجهن نحو ذلك المنزل المتواضع الذين فوجئ جدًّا كلٌّ من فيه بدخول السيدة مارش والفتيات.

قالت تلك المرأة الفقيرة: "أنتن بالتأكيد ملائكة الرحمة!"
أجابت جو ـ لكي تجعلها تشعر بالراحة ـ :
"ملائكة يرتدين القبعات والقفازات." وبذلك كان الجميع قد ضحكوا. وبعد وقت قصير، كانت تلك الغرفة المتواضعة ـ بعد أن أشعلت حنا النار ـ قد أصبحت غرفة دافئة، وكانت السيدة مارش قد أعدت بعض الطعام للأم المرضعة وللطفل، بينما قامت الفتيات بإطعام باقي الأطفال، بينما كلٌّ من أفراد تلك العائلة يهتف:
"كم هو لذيذ هذا الطعام! لابد أنكن ملائكة الرحمة!"
كان ذلك إفطارًا سعيدًا، على الرغم من أن الفتيات لم يشاركن به، لكنهن عندما عدن إلى المنزل شعرن بأنهن أسعدُ من في تلك البلدة؛ لأنهن تبرعن بإفطار يوم الميلاد لتلك العائلة المُعدمة، وكنّ بذلك قد أدخلن السعادة إلى ذلك المنزل الفقير المتواضع...
قالت ميج ـ وهن يضعن الهدايا التي كانت كل منهن قد اشترتها لوالدتها إلى جانب المائدة بينما كانت السيدة مارش في الطابق العلوي تجمع بعض الملابس لكي تعطيها لتلك العائلة الفقيرة ـ :
"هذا هو معنى العطاء أن تحب جيرانك أكثر من نفسك."
كانت المائدة تبدو جميلة جدًّا وقد انتشرت عليها علب الهدايا والزهور الزاهية الألوان، وعندما سمعن وقع أقدام السيدة مارش، قالت ميج لبيث على الفور:
"ابدئي بعزف الموسيقى بيث، ها هي والدتنا قادمة. افتحي الباب إيمي."
وبدأت الفتيات تهتفن وتتراقصن على وقع الموسيقى. كانت السيدة مارش عندما دخلت الغرفة قد فوجئت، وشعرت بالسرور والفخر، واغرورقت عيناها بالدموع وهي تفتح علب الهدايا، وتقرأ الكلمات الرقيقة التي كتبتها كلٌّ من الفتيات عليها، وبذلك كانت البهجة قد غمرت الجميع، وعَلَت ضحكاتهن بكل بهجة.
ثم أمضت الفتيات فترة ما قبل الظهيرة بالاستعداد للمسرحية التي كان من المفترض أن تكون في أمسية ذلك اليوم، وبما أن الفتيات لم يكن لديهن ما يكفي من مال؛ فقد اكتفين بارتداء ما يلزم لأدوارهن بما لديهن من ملابس قديمة، كنّ قد صنعن بها الملابس التي تناسب دور كلٍّ منهن، وكان الحضور مقتصرًا على السيدات والفتيات من الصديقات.

كان أداؤهن لأدوارهن رائعًا رغم بعض الأخطاء التي أضافت إلى المسرحية بعض التسلية، وكان الحضور قد أبدوا إعجابهم وصفقوا للفتيات كما لو أنهن كنّ على خشبة مسرح حقيقية.

ثم جاءت حنا بعد ذلك وقالت: "السيدة مارش تدعوكن إلى الطابق السفلي لتناول العشاء."

توجه الحضور جميعًا إلى غرفة الطعام حيث كانت بانتظار الفتيات مفاجأة كبيرة. كانت تنتشر على المائدة جميع أنواع الكعكات والحلوى وجميع أصناف الفاكهة، كما كانت تُزيّن في منتصف المائدة باقة كبيرة من الزهور اليانعة.

نظرت كلٌّ منهن إلى الأخرى بفرح وتساءلن: من أين أتت كل هذه الأشياء؟...

حاولت كلٌّ منهن أن تُخمن، حتى أنهن اعتقدن بأن العمة مارش هي التي أرسلت إليهن كلَّ تلك الأشياء، إلى أن قالت السيدة مارش:

"لا... كل تخميناتكن خاطئة؛ لأن من أرسلها هو السيد لورانس العجوز."

قالت ميج: "أهو جدّ الفتى لورانس الذي يسكن في المنزل المجاور؟ لكن نحن لا نكاد نعرفه جيدًا."

أجابت السيدة مارش:

"كانت حنا قد رَوَت لخدمه كيف تبرعتُن بإفطار يوم الميلاد لتلك العائلة الفقيرة. كان ذلك الرجل على صلة وثيقة بوالدي وقد أعجب بتلك الطريقة بالتصرف وبتفضيلكن تلك العائلة الفقيرة على أنفسكن؛ لذا أرسل إليّ رسالة مهذبة، قال فيها بأنه يرجو أن نسمح له بأن يُعبّر عن مشاعره الصادقة نحو أولادي بأن يرسل إلينا بعض الأشياء بمناسبة يوم الميلاد."

سألتها إحدى الفتيات: "هل تعنين أنهم الأشخاص الذين يقيمون في ذلك المنزل الفخم الواسع الذي يقع إلى جوار منزلنا؟"

قالت جو حينئذ: "لابد أن لذلك الفتى علاقة بالموضوع. كنت أعلم بأنه سوف يفعل ذلك، أتمنى أن نتعرّف إليه. كانت قطتنا قد دخلت ذات يوم إلى منزلهم، وكنا عندما أعادها إليّ قد تبادلنا الحديث معًا لبعض الوقت حول الألعاب وبعض الأمور الأخرى. وعندما شاهد ميج قادمة استأذن وتركني، لكن بودي أن أوثّق معرفتي به فأنا متأكدة بأنه بحاجة إلى الأصدقاء وإلى بعض التسلية."

قالت السيدة مارش: "الحقيقة أنني أعجبت بالفعل بأسلوبه المهذب في التصرف؛ لذا ليس لديّ أيُّ اعتراض على توثيق معرفتكن به عندما ستسنح الفرصة

المناسبة لذلك، كما أنه أحضر إلينا بنفسه بعض الورود، أعتقد بأنه كان عندما سمع صوت ضحكاتنا البهيجة كان قد رغب بمشاركتنا احتفالنا بهذا اليوم."
قالت جو: "سوف نقوم بالتحضير لمسرحية أخرى، وربما سيكون بإمكاننا أن نطلب منه المشاركة فيها بأحد الأدوار. ألن يكون ذلك مسليًا؟"
قالت ميج: "لم أرَ أجمل من هذه الورود طوال حياتي."
لكن السيدة مارش كانت قد نظرت إلى الورود الذابلة التي كانت بيث قد أحضرتها وقالت:
"لكنني أجد أن هذه الورود أجمل."
عانقتها بيث وقالت: "كنت أتمنى أن أتمكن أيضًا من إرسال باقة من الورود إلى والدنا. أخشى ألا يكون بإمكانه وهو هناك أن يستمتع مثلنا بيوم عيد الميلاد."

الفصل الثالث

الدعوة

صاحت ميج من الطابق السفلي: "جو !... جو !... أين أنت؟"
أجابتها جو من الأعلى: "أنا هنا"
وكانت ميج قد أسرعت إلى الطابق العلوي حيث وجدت شقيقتها مستلقية إلى جانب النافذة على الأريكة التي تغمرها أشعة الشمس، وهي تطالع في أحد الكتب. كان ذلك هو المكان المفضّل بالنسبة إلى جو عندما ترغب بالاستمتاع بالمطالعة بهدوء. كانت عندما دخلت ميج قد وضعت كتابها جانبًا، وانتظرت سماع ما لديها من أخبار.
قالت ميج بحماس: "انظري هذه رسالة من السيدة غارديز، تدعونا فيها إلى حفل راقص سوف يقام مساء الغد. أصغي لما كتب في هذه الرسالة:
"يسعد السيدة غادينر توجيه الدعوة إلى الآنستين مارغريت وجوزفين مارش لحضور الحفل الراقص الذي سيقام في منزلها ليلة العام الجديد."
ثم أضافت: "قالت والدتنا: إنه بإمكاننا تلبية الدعوة. والآن علينا أن نفكّر بما الذي نترديه من ملابس في ذلك الحفل الراقص؟"
أجابت جو: "ما فائدة توجيه مثل هذا السؤال؟ ما دمت تعلمين بأننا سوف نرتدي ثوبينا القطنيين فليس لدينا ما نرتديه سوى تلك الملابس."
قالت ميج: "كم كنت أتمنى لو كان لدي ثوبًا حريرًا!"
أجابت جو: "أنا متأكدة بأن ملابسنا القطنية تبدو كالملابس الحريرية، كما أن ثوبك لازال بوضع جيّد كما لو أنه ثوب جديد، لكنني نسيت أن ثوبي كان قد احترق قليلًا من الخلف وبأن مكان الحرق يظهر بشكل واضح."
أجابت ميج: "حسنًا جو، كل ما عليك أن تظلي جالسة طوال الوقت؛ لكي تخفي ظهر ثوبك، أما ثوبك من الجهة الأمامية فهو يبدو جيدًا. سوف أضع شريطًا جديدًا على شعري. حذاء الرقص الذي لديّ جميل جدًّا وإن لم يكن على المستوى

الذي أرغب به، كما أن قفازيّ لابأس بهما وبحالة جيدة، رغم أنني أتمنى أيضًا أن يكون لدي زوج من القفازات الجديدة."

قالت جو: "لكن قفازيّ تالفان. سوف أذهب بدون قفازات." لأنها كانت من النوع الذي لايكترث كثيرًا بما يتعلق بالملابس.

صاحت ميج: "لا... هذا غير مكن عليك أن ترتدي القفازات. هذا هام جدًّا فليس بإمكانك الرقص بدون قفازات."

أجابت جو: "كلُّ ما عليّ إذن هو أن أجلس بهدوء دون حراك، فلست أهتم كثيرًا بالرقص أثناء الحفلات، كما أنه ليس بإمكاني شراء قفازات جديدة فهي مرتفعة الثمن."

قالت ميج: "جو، لِمَ أنت دومًا بمثل هذا الإهمال؟"

قالت جو: "لا تبدو تلك القفازات قديمة جدًّا، وسوف أكتفي بحملهما بيدي، بحيث لا يلتفت أحد إلى ذلك."

قالت ميج: "لا... لا يمكنك ذلك."

قالت جو: "لديّ فكرة سوف أعلمك كيف بإمكاننا أن نتصرف. سوف تلبس كلٌّ منا قفازًا، وتحمل بيدها الأخرى القفاز الآخر التالف."

قالت ميج: "لكن يديك أكبر حجماً من يدي، وهذا ما سيجعلك تتلفين القفاز."

قالت جو: "فإذن علي أن أذهب إلى الحفل بدون قفازات." ثم تناولت الكتاب الذي كانت تطالعه وعادت لقراءته.

أجابت ميج: "لا بأس سوف أعطيك أحد القفازين لكن عليك العناية به."

أجابت جو: "لا تقلقي ميج، سوف أُحسِن التصرف، اذهبي الآن وأرسلي الإجابة على الدعوة، ودعيني أستكمل قراءة هذه القصة."

الفصل الرابع

الحفل

اجتمعت الشقيقات ليلة العام الجديد في غرفة النوم. كانت ميج وجو تستعدان لذلك الحفل، بينما كانت بيث وإيمي تقومان بمساعدتهما. كانت الضحكات وصيحات البهجة تعلو إلى أن انتشرت في الغرفة فجأة رائحة قوية أشبه برائحة الحريق. كانت ميج قد رغبت بتجعيد بعض الخصل من شعرها وكانت جو تقوم بذلك. وضعت الخصل داخل أوراق رطبة ثم سكبت الماء الحار فوقها .

وكانت بيث قد سألت: "هل من المفترض أن تصدر مثل هذه الرائحة عن الشعر؟"

أجابت جو: "هذا لأن الماء قد بدأ يتبخر."

قالت إيمي: "لكنها رائحة قوية أشبه برائحة احتراق الرياش."

قالت جو: "سوف أنزع الأوراق عن الشعر الآن وسترون تلك الخصل الجميلة."

ولكن عندما فعلت جو ذلك لم تكن قد ظهرت تحتها أية خصل من الشعر، وإنما كان ما خرج مع الأوراق مجموعة من خصل الشعر المحترقة.

صاحت ميج: "أووه... أووه... ما الذي فعلتِه بي جو؟"

صاحت جو وقد بدأت الدموع تنهمر من عينيها:

"هذا هو دومًا ما يتسبب به لي حظي السيئ؛ فلابد لي أن أفسد كل شيء... كان من الأفضل ألا تطلبي مني أن افعل ذلك أنا آسفة بالفعل ميج."

قالت إيمي: "لا بأس ميج، لا تحزني بإمكانك أن تُصففي شعرك إلى الأعلى وأن تجمعي الشعر بشريط جميل من الأمام، وبذلك لن تظهر نهايات الشعر المحترقة."

قالت ميج بأسف: "قد يكون بإمكاني أن أفعل ذلك. أعتقد بأنني أستحق ما حدث لي؛ لأنني اهتممت أكثر مما ينبغي بشكل شعري."

قالت بيث وهي تقبل شقيقتها: "لا تحزني ميج، سوف ينمو شعرك بسرعة؛ لذا لاداعيَ للأسف."

كانت ميج وجو قد أصبحتا آخر الأمر على أتم الاستعداد. كانت ميج ترتدي ثوبًا من اللونين: اللؤلؤي والفضي بياقة بيضاء وتضع على شعرها شريطًا أزرق اللون. أما جو فكان ثوبها باللون الأحمر تزينه وردة بيضاء، وكانت كلٌّ منهما قد لبست أحد القفازين النظيفين وحملت بيدها القفاز الآخر. كان حذاء ميج العالي يؤلم قدميها جدًّا لكنها لم تكن ترغب بالإفصاح عن ذلك.

قالت ميج لشقيقتها قبل مغادرتهما: "لا تنسي بأن عليك أن تظلي إلى جانب الجدار؛ لكي لا يظهر الجزء المحترق من ثوبك."

وأجابتها جو: "لن أنسى ذلك، ولو حدث ونسيت فكل ما عليك أن ترفعي حاجبك الأيسر لكي تلفتي نظري إلى ذلك."

وكانت السيدة غاردينر قد استقبلتهما بكلِّ ترحيب، ثم طلبت من ابنتها أن تهتم بهما. كانت ميج تعرف سالي غاردينر؛ لذا شعرت بذلك بالكثير من الراحة. أما جو فكانت قد وقفت ظهرها إلى الجدار، وهي تشعر بأنها ليست في مكانها المناسب. لم يكن بإمكانها أن تتجول في القاعة؛ لكي لا يظهر الجزء التالف من ثوبها؛ لذا كان كل ما فعلته أن وقفت ترقب الراقصين وهي تشعر بالسعادة؛ لأن شقيقتها ميج كانت تستمتع بوقتها بين الراقصين...

لكنها كانت قد شاهدت فجأة أحد الشبان يتوجه نحوها لكي يدعوها للرقص وبذلك أسرعت بالجلوس على أريكة خلف الستارة، ولكن ولشدة دهشتها، كانت قد شاهدت أن هناك من اختار أيضًا ذلك المخبأ ووجدت نفسها وجهًا لوجه أمام ابن العائلة لورانس.

قالت جو: "أووه... أرجو المعذرة لم أكن أعلم بأن هناك أيّ شخص هنا."

وكانت على وشك التراجع إلى الوراء لكن الفتى ضحك، وقال بكلِّ لطف:

"لا عليك آنستي، بإمكانك البقاء هنا لو رغبت بذلك."

قالت جو: "ألن أتسبب بإزعاجك؟"

أجاب الفتى: "لا... على الإطلاق. جئت إلى هذا المكان؛ لأنه ليس لديّ هنا أيُّ معارف ما جعلني أشعر قليلًا بالضيق."

أجابت جو: "وأنا كذلك. أرجو ألا تترك المكان لأجلي ما لم تكن تفضل ذلك."

وكان الفتى قد جلس من جديد. وكانت جو ـ لكي تتصرف بأسلوب مهذب ـ قد قالت:

"أعتقد أنني كنت قد تشرفت سابقًا بمعرفتك. ألست تُقيم في المنزل المجاور لمنزلنا؟"

ضحك الفتى للأسلوب الجدّي الذي تتحدث به إليه، وضحكت جو لأنهما تذكرا كيف كانا قد تبادلا الحديث مطولًا حول الألعاب عندما أعاد إليها قطتها التائهة.

قال لوري:

"أكان ذلك في المنزل المجاور لمنزلكم؟"

كان ذلك قد جعل جو تشعر بالارتياح، وتضحك، وتقول بأسلوبها اللطيف المعتاد:

"شكرًا لك لقد أمضينا وقتًا ممتعًا بهديتك يوم عيد الميلاد."

أجاب الفتى: "كان جدي من أرسلها إليكم."

قالت جو: "لكنك كنت أنت من اقترحت عليه ذلك. أليس كذلك؟"

قال السيد لورانس بأسلوب جدّيّ محاولًا تغيير مجرى الحديث:

"كيف حال قطتكم آنسة مارش؟"

أجابت جو: "قطتنا بخير سيد لورانس، لكنني لست الآنسة مارش، أنا جو فقط."

ـ "وأنا لست السيد لورانس، أنا لوري فقط."

ـ "لوري لورانس ما هذا الاسم الغريب؟"

ـ "اسمي الأول تيودور، لكنني لا أحب ذلك الاسم؛ لأن زملائي في المدرسة ينادونني باسم لورا؛ لذا جعلتهم ينادونني باسم لوري."

قالت جو: "وانا أيضًا أكره اسمي؛ لذا أفضل أن يناديني الجميع باسم جو بدلًا من جوزفين."

ثم سألها لوري: "ألا تميلين إلى الرقص آنسة جو؟"

أجابت: "أنا أحب الرقص عندما لا يكون المكان مزدحمًا بالراقصين، أما في مثل هذا المكان فأنا متأكدة بأنني قد أطأ قدم أحدهم. هناك موسيقى راقصة رائعة الآن فلم لا تذهب للرقص؟"

أجاب لوري وقد انحنى أمامها: "سوف أفعل ذلك لو وافقت على مرافقتي." ثم مدّ يده إليها.

قالت جو: "ليس بإمكاني ذلك؛ لأنني وعدت ميج بألا أفعل ذلك؛ لأن..." ثم توقفت جو عن الحديث وهي تضحك.

سألها لوري بفضول: "ولكن لماذا؟"

قالت جو: "سأعلمك بذلك لو وعدتني بألا تتحدث عن ذلك مع أيِّ شخص."

قال لوري: "لن أفعل ذلك أبدًا."

قالت جو: "حسنًا، أنا مُعتادة على الوقوف إلى جانب المدفأة ما يجعلني أتسبب باحتراق ملابسي، وقد احترق أيضًا ظهر هذا الثوب الذي أرتديه، وعلى الرغم من أنه قد تم إصلاحه بشكل جيد إلا أن مكان التلف لا زال ظاهرًا بعض الشيء؛ لذا طلبت مني ميج أن أظلّ واقفة في صالة الرقص لكي لا يراني أحد. أعلم بأن الأمر سيبدو لك سخيفًا."

لكن لوري لم يكن قد ضحك وإنما قال على الفور:

"لا تهتمي بذلك بإمكاننا أن نتدبر الأمر. هناك قاعة أخرى في الخارج وبإمكاننا أن نرقص هناك دون أن يرانا أحد. تفضلي بمرافقتي."

وكانت جو قد شكرته، ثم ذهب الاثنان معًا إلى تلك القاعة واستمتعا بالرقص. عندما توقف العزف، جلس الاثنان معًا على السلالم، وأخذ لوري يحدث جو عن زملائه في الدراسة. لكن ميج كانت قد ظهرت فجأة وهي تبدو شاحبة الوجه. اعتذرت جو من لوري وتبعت شقيقتها إلى غرفة أخرى وسألتها عما يزعجها

قالت ميج:

"التوت قدمي بسبب هذا الحذاء. لست أدري كيف سيكون بإمكاني العودة إلى المنزل."

قالت جو وهي تفرك قدم شقيقتها:

"ليس بإمكاننا بالطبع أن نطلب عربة؛ لأنها مرتفعة التكاليف كما ليس بإمكانك البقاء هنا أيضًا؛ لأن المنزل يغصّ بالضيوف. كنت على يقين بأن هذا ما سيحدث لك لأنك أردت أن تظهري بهذا الحذاء وبالكعب العالي. أنا آسفة عزيزتي، لكن لست أدري ما الذي بإمكانك أن تفعلي ما عدا انتظار الحصول على عربة أو البقاء هنا طوال الليل، سوف ننتظر إلى أن تأتي حنا لكي ترى ما الذي بإمكاننا أن نفعله."

وكانت ميج بذلك قد انتظرت في مكانها بينما ذهبت جو للبحث عن أية إمكانية لاصطحاب ميج إلى المنزل. وجدت أحد الخدم وبينما كانت تشرح له بأنها بحاجة إلى عربة لأجل اصطحاب شقيقتها إلى المنزل بسبب التواء قدمها، كان لوري قد دخل إلى الغرفة وبذلك سمع ما قالته وبذلك عرض عليها على الفور أن يصطحب ميج بواسطة عربة جده. شكرته ثم ذهبا معًا لإحضار ميج وكانت حنا قد وصلت أيضًا لكي تصطحب الشابتين إلى المنزل.

صعدت الفتيات إلى العربة بينما جلس لوري إلى جانب السائس كي يترك المجال لميج وجو للمزيد من الراحة. كانت الفتاتان قد شعرتا بالكثير من الغبطة؛ بارتيادهما مثل تلك العربة الفخمة وكأنهما من سليلات إحدى العائلات الثرية النبيلة...

قالت جو: "لقد استمعت كثيرًا بوقتي، فهل أمضيت وقتًا ممتعًا أنت أيضًا؟"

أجابت ميج: "نعم، ولكن إلى أن التوت قدمي، كما أن إحدى صديقات سالي غارديز قد وجهت إلي الدعوة لزيارتها خلال فصل الربيع القادم. آمل أن توافق والدتي على ذلك."

وكانت جو قد روت لميج بعد ذلك كيف رقصت مع لوري، وما دار بينهما من حديث إلى أن وصلوا إلى المنزل.

شكرت الفتاتان لوري من جديد وتمنتا له ليلة سعيدة، ودخلتا المنزل بصمت وهدوء لعدم رغبتهما بإزعاج أحد لكنهما على الفور من دخولهما، وجدتا بيث وايمي بانتظارهما بحماس، ثم بدأت كل منهما تسأل عن تلك الحفلة.

قالت ميج: "كنت أبدو وأنا في تلك العربة الفخمة وجميع من حولي يهتمون بي كأنني شابة من الطبقة الأرسطوقراطية الثرية."

أجابت جو: "أما أنا فأعتقد بأن أيًّا من الشابات النبيلات لم تكن قد استمتعت بالحفل أكثر مما فعلنا، رغم ملابسنا القديمة، ورغم تلك القفازات التي كانت كل منا تحمل أحدها فقط."

الفصل الخامس

العودة إلى العمل والمسؤوليات

كانت الفتاتان في صباح اليوم الذي تلا ذلك الحفل قد شعرتا بأن عملهما مُملّ جدًّا قالت جو لشقيقتها ميج: "كم أتمنى لو كانت جميع أيام الأسبوع أيام عطل."

لكن ميج كانت قد أجابتها: "لو كان الأمر كذلك لما كنا سنستمع كما استمتعنا."

أجابت جو: "حسنًا، على كافة الأحوال مادام ليس بإمكاننا أن نعيش بتلك الطريقة المترفة؛ لذا علينا ألا نتذمر وأن نحتمل ما علينا من أعباء بالرضى كما تفعل والدتنا."

لم تكن أيٌّ من الفتيات تبدو سعيدة تمامًا أثناء تناول الإفطار. كانت بيث تشكو من الصداع، وكانت إيمي قلقة؛ لأنها لم تنجز ما عليها من واجبات دراسية. أما جو فلم تكن تشعر بالرغبة بالذهاب إلى العمة مارش. وحتى أن حنا كانت بمزاج سيء كما تكون عادة عندما يكون عليها أن تعمل إلى وقت متأخر من الليل، وكانت عندما تسببت جو بكسر أحد الأطباق قد همهمت:

"لم أكن قد عرفت طوال حياتي مثل هذه العائلة المزعجة."

وعندما بدأت إيمي تبكي بصوت مرتفع؛ لأنها لم تعد تتذكر جدول الضرب صاحت والدتهن:

"أيتها الفتيات، رجاءً... أحتاج لبعض الهدوء لكي أتمكن من إنهاء هذه الرسالة لوالدكن."

وبذلك التزمت الفتيات الهدوء لبعض الوقت، ثم توجهت كلٌّ منهن نحو عملها، وكانت جو قبل مغادرتهن قد قالت:

"وداعًا أمي، لم يكن تصرفنا جيدًا هذا الصباح، لكنني أعدك بأن نتصرف بشكل أفضل عندما نعود."

ثم خرجت ميج وجو معًا، وكانت والدتهن كعادتها قد وقفت أمام النافذة لكي تلوّح لهما بيدها وهي تبتسم؛ لكي تمنحهما المزيد من الشجاعة لتحمل ما عليهما من أعباء.

قالت جو لشقيقتها: "كنا نستحق أن تكون والدتنا غاضبة منا بدلًا من أن تبتسم لنا؛ لأننا أسأنا التصرف هذا الصباح."

ثم نظرت إلى شقيقتها وأضافت:

"عزيزتي ميج، لا داعيَ لأن تكوني بمثل هذا البؤس؛ لأننا كنا أثناء فترة العطلة قد عشنا لفترة أشبه بالفتيات النبيلات، كلُّ ما عليك أن تنتظري إلى أن أصبح كاتبة ذات شهرة ثرية وسوف أجعلك حينئذ تستقلين العربات الفاخرة وترتدين الملابس الحريرية والمجوهرات والأحذية ذات الكعب العالي طوال الوقت؛ وبذلك سوف يطلب أفضل الشبان مراقصتك."

ضحكت ميج وأجابت: "ما هذا الهراء جو؟ أنت بالفعل مخبولة وتحلمين."

أجابت جو: "هذا من حسن حظك، فلو كنت سأبدو تعيسة مثلك لكنا سنصبح زوجًا من التعساء، أشكر الله لأن بإمكاني أن أجد دومًا ما يمكن أن يجعلني أبتهج، لذا حاولي ألا تتذمري وأن تبتهجي."

ثم توجهت كلٌّ منهما في طريقها إلى عملها، وهي تحاول أن تشعر بالبهجة رغم الطقس العاصف والعمل الشاق الذي كان بانتظار كلٍّ منهما، وعلى الرغم من أن ليس بإمكانهما الاستمتاع بما تستمتع به ـ عادة ـ الفتيات اللواتي في سنهما.

كان السيد مارش ـ والدهما ـ قد خسر كل ما كان لديه من أموال عندما حاول مساعدة أحد أصدقائه بإقراضه المال وبذلك اضطر للسماح للابنتين الأكبر سنًّا بالعمل والمساعدة في إعالة الأسرة. كانت ميج قد وجدت عمل مربية أطفال، وكانت تلك هي مشكلتها الرئيسية؛ لأنها تحب الأشياء الجميلة والملابس الفاخرة، وتتذكر دومًا كيف كانت حياتها قبل أن يخسر والدها أمواله، وكيف

كان منزلهم جميلًا، وكيف كانت بإمكانها أن تحصل على كل ما تريده، لكنها كانت مع ذلك تحاول دومًا ألا تترك المجال لنفسها بألا تشعر بعدم الرضى.

وصادف أن كانت العمة مارش قد وجدت بأن جو هي الفتاة المناسبة لأن تكون مُرافقتها. كانت متقدمة بالسن، ولم يكن بإمكانها أن تمشي بشكل جيد؛ لذا كانت بحاجة إلى رعاية خاصة من فتاة شابة قوية البُنية، والحقيقة أن جو لم تكن تميل إلى مثل ذلك العمل على الإطلاق لكنها، وافقت على أن تكون مرافقة للعمة مارش إلى أن تتمكن من الحصول على عمل أفضل.

لم تكن العمة مارش ذات مزاج لطيف لكنها مع ذلك، ولدهشة الجميع، كانت قد انسجمت بشكل جيد جدًّا مع جو، رغم أن جو كانت ذات يوم قد صرحت بعد عودتها إلى المنزل بأنه لن يكون بإمكانها على الإطلاق الاستمرار بذلك العمل، وبأنها لن تعود إلى منزل العمة مارش، لكن العمة مارش كانت تحب جو بالفعل؛ لذا كانت في اليوم التالي قد أرسلت إليها رسالة رقيقة جدًّا طلبت فيها منها العودة إليها، وهو الأمر الذي لم يكن بإمكان أن ترفضه؛ لأنها كانت في الحقيقة تحب العمة مارش رغم طباعها الغريبة، ورغم صرامتها، ورغم ذلك الببغاء والكلب المزعجين جدًّا، كما أن مجرد التفكير بأنها وشقيقتها ميج تقدمان العون لعائلتهما كان من شأنه أن يجعلها تشعر بالسعادة والرضى.

لكن سعادة ميج وجو الحقيقة كانت عندما ينتهي يوم العمل، وعندما تجلس الشقيقات معًا حول الموقد وتبدأ كل منهن بسرد ما مرت به من أحداث أثناء اليوم، بينما كانت والدتهن تبتسم، وتزود كلًّا منهن بنصائحها حول أسلوب معالجة المشكلات وحول كيفية احتمال العبء الذي ألقي عليهن، وتقول بأن الحرب لابدّ أن تنتهي ويحلّ السلام، وبذلك سوف يعود والدهن إلى المنزل، وبذلك سوف يجتمع جميع أفراد العائلة من جديد...

الفصل السادس

تواصل مع القاطنين في المنزل المجاور

كان كلُّ ما يفصل بين منزل العائلة مارش ومنزل السيد لورانس عبارة عن حديقة وصفٍّ من الشجيرات الصغيرة. كان منزل العائلة مارش قديمًا وصغيرًا، بينما كان منزل السيد لورانس كبيرًا وفخمًا، يحتوي على مرآب للعربات وعلى مشتل للزهور، لكنه رغم ذلك كان يبدو منزلًا كئيبًا؛ لعدم وجود أية أطفال يلعبون في حديقته، ولا وجه لأم لطيفة تُطلّ وتبتسم من خلف النوافذ، كما لم يكن يدخل ويخرج منه سوى ذلك الرجل المتقدم بالسن السيد لورانس وحفيده لوري لورانس. وهذا ما كان يجعل جو بما لديها من خيال الكاتبة تعتبره أشبه بالمنازل التي تتحدث عنها القصص، وبأنه لابد أن يحتوي على كل ما يمكن أن يجلب البهجة للنفس ولكن بدون أن يستمع بذلك أحد.

كانت جو منذ فترة طويلة، بعد أن تعرفت على لوري لورانس في حفل السيدة غارديتر تتطلع إلى توثيق علاقتها به واتخاذه صديقًا لها، لكنها لم تكن قد رأته بعد ذلك الحفل؛ لذا اعتقدت بأنه غادر البلدة.

لكن جو كانت ذات يوم وهي تتجول في الحديقة قد لمحت خلف إحدى نوافذ ذلك المنزل الكبير وجه لوري. كان ينظر إلى حديقة منزلهم كما لو أن بوده أن يشاركها اللعب برمي كرات الثلج... حدثت جو نفسها:

"أعتقد أن هذا الفتى بحاجة إلى الأصدقاء، وإلى بعض اللهو والتسلية... أعتقد أن جده لا يدرك جيدًا ما الذي يحتاجه فتى في سنه؛ لذا ربما كان عليّ أن أذهب إليهم وأعلم جده بذلك..."

وبما أن جو كانت من النوع الذي يحب التصرف بجرأة، فلم تكن قد تخلت بعد ذلك على ما خططت له في ذهنها، وبذلك كانت ذات يوم بعد أن شاهدت السيد

لورانس يستقلّ عربته ويغادر المنزل قد ذهبت إلى الحديقة المجاورة وأخذت تنظر إلى نوافذ ذلك البيت الكبير. كان كلُّ ما في المنزل ساكنًا، ولم يكن يبدو خلف النوافذ أيّ شخص ما عدا لوري الذي كان يُطلّ من إحدى نوافذ الطابق العلوي وقد أسند رأسه على ذراعه.

حدثت جو نفسها: "ها هو هذا الفتى البائس بمفرده. يبدو مريضًا؛ لذا سوف أوجّه إليه بعض الكلمات اللطيفة لكي أؤنس وحدته، وكانت قد رَمَت النافذة بكرةٍ من الثلج ما جعل الفتى يلتفت لوجودها في الحديقة، ويبتسم بسرور.

ضحكت جو وقالت:

"كيف حالك؟ هل أنت مريض؟"

وبذلك فتح لوري النافذة وأجاب:

"كنت أعاني من نزلة برد شديدة، لكنني الآن بوضع أفضل وقد بدأت أتماثل للشفاء. كان قد تم احتجازي هنا منذ أسبوع."

قالت جو: "آسفة لأجلك لكن كيف تُمضي الوقت؟ هل تقرأ؟"

أجاب لوري: "ليس كثيرًا؛ لأنهم لا يرغبون بأن أتعب نفسي بالمطالعة."

قالت جو: "أليس لديك من يقرأ لك؟"

أجاب لوري: "يفعل ذلك جدي من وقت لآخر، لكن ما أحب قراءته من مواضيع لا يثير اهتمامه. كما أنني لا أرغب الطلب من أستاذي أن يفعل ذلك طوال الوقت."

قالت جو: "هل يأتي أحدهم لزيارتك؟"

قال لوري: "ليس لديّ الكثير من الأصدقاء هنا، كما أن الفتية هنا من النوع الذي يحب الصخب، بينما لا أحب ذلك؛ لأنه يجعلني أشعر على الفور بالصداع."

قالت جو: "ألا تأتي بعض صديقاتك الفتيات لزيارتك؛ لكي يقرأن لك كي تشعر ببعض التسلية؟ الفتيات هنّ عادةً ـ بطبيعتهن ـ هادئات الطباع، كما أنهن يملن إلى لعب دور رعاية الآخرين."

أجاب لوري: "لكنني لا أعرف أية فتيات."

بدأت جو تضحك وقالت: "لكنك تعرفنا نحن."

قال لوري بحماس: "بالطبع، هل بإمكانك من فضلك أن تفعلي ذلك؟"

أجابت جو: "أنا لست هادئة الطباع جدًّا، لكنني سوف أقوم بزيارتك لو وافقت والدتي على ذلك سوف أذهب الآن لسؤالها. انتظر إلى أن أعود إليك."

وكانت جو قد عادت إلى المنزل وهي تتساءل عما سيقول الجميع عن تصرفها الجريء ذاك بينما كان لوري قد شعر بالكثير من الحماس، بأن يكون بإمكانه أن يحظى بزيارة أحدهم. وبذلك قام على الفور بترتيب غرفته وبإعداد نفسه لاستقبال جو. كان قد سمع بعد لحظات صوت طرقة خفيفة على باب الغرفة، ثم سمع من يسأل عن السيد لوري، وكانت الخادمة العجوز قد دخلت لكي تقول له باستغراب: "سيدي، هناك فتاة شابة تسأل عنك."

قال لوري وهو يتوجه نحو الباب لاستقبالها: "حسنًا دعيها تدخل إنها الآنسة جوزفين."

كانت جو تحمل بإحدى يديها طبقًا من الحلويات، وتحمل باليد الأخرى سلّة تحتوي على ثلاث قطط صغيرات. قالت:

"ها قد جئت إليك والدتي تبلغك محبتها وقد سُرّت بأن يكون بإمكاني أن أقوم بمساعدتك. شقيقتي ميج قد رغبت بأن أجلب لك هذه الكعكة التي أعدتها بنفسها. كما أن شقيقتي بيث قد رغبت بأن أجلب لك هذه القطط الصغيرة علّها تجعلك تشعر ببعض التسلية. أعلم أنك قد تضحك من ذلك لكن لم يكن بإمكاني أن أرفض لها ذلك؛ لأنها كانت متحمسة جدًّا لهذه الفكرة."

كانت فكرة بيث مناسبة جدًّا بالفعل؛ لأن لوري كان قد ضحك ببهجة وقد شعر على الفور بالألفة والتواصل.

ثم قالت جو: "ما هذه الغرفة الجميلة المريحة؟"

أجاب لوري: "كانت ستكون كذلك لو أن الخدم أحسنوا وضع الأشياء في مكانها المناسب.

لست أدري كيف بإمكاني أن أجعلهم يفعلون ذلك، وهذا ما يضايقني."

أجابت جو: "سوف أقوم بذلك خلال دقيقتين."

وكانت قد نقلت الأريكة بحيث أصبحت بالقرب من النافذة كما قامت بترتيب الوسائد، ثم طلبت من لوري أن يجلس عليها وكان قد فعل ذلك وهو في غاية السرور، وقال:

"كم أنت طيبة! رجاءً تفضلي الآن بالجلوس على هذا المقعد المريح، ودعيني أقوم بدوري بتقديم ما يمكن أن يجلب التسلية لضيفتي."

وكانت جو عندما نظرت إلى المكتبة التي كانت تحتوي على الكثير من المجلدات والكتب قد قالت:

"شكرًا، هل ترغب بأن أقرأ لك في أحد هذه الكتب؟"

قال لوري: "شكرًا لك، سبق أن قرأت جميع محتويات هذه المكتبة. أفضّل أن نتحدث معًا لو كان ذلك لا يضايقك."

أجابت جو: "لا على الإطلاق... بإمكاني أن أتكلم طوال اليوم لو جعلتني أفعل ذلك. تقول بيث: بأنني لو بدأت بالكلام فليس هناك ما يمكن أن يجعلني أتوقف."

قال لوري: "أهي شقيقتك بيث التي تبقى طوال الوقت في المنزل والتي لا تغادره إلا وهي تحمل بيدها سلّة؟"

أجابت جو: "نعم هي بالفعل شقيقتي بيث وهي فتاة طيبة جدًّا."

قال لوري: "والشابة الشقراء أليست تدعى ميج؟"

حينئذ سألته جو باستغراب: "ولكن كيف كان بإمكانك أن تعلم كل ذلك؟"

أجاب لوري بحياء: "الحقيقة أنني أسمعكن عندما تنادي كلٌّ منكن شقيقتها، كما أنني عندما أنظر إليكن من نافذتي أشعر بأنكن تستمتعن بوقتكن كثيرًا. أرجو المعذرة لكنكن في كثير من الأحيان لاتُدلين ستائر النوافذ عندما تشعلن المصابيح ليلًا. كما أن منزلكم يبدو لي وأنا أنظر إليكن عندما تجلسن معًا أمام الموقد مع السيدة والدتكن أشبه بلوحة جميلة، ما يجعلني لا أستطيع منع نفسي من النظر إليكن...

توفيت والدتي وأنا لا أزال صغير السن جدًّا؛ لذا لم أكن قد عرفت المعنى الحقيقي للحياة العائلية."

وكان لوري عندما قال ذلك قد استدار برأسه إلى الناحية الأخرى؛ لكي يخفي انفعاله ومشاعر الحزن التي كانت قد سيطرت عليه في تلك اللحظة.

كان ما قاله لوري قد جعل جو تشعر بالكثير من الأسف عليه، فهو فتى ثري لكنه مع ذلك يشعر بالوحدة، ويتوق إلى المحبة العائلية، ما جعلها تتمنى لو أن بإمكانها أن تجعله يشاركهن سعادتهن العائلية.

قالت بكل رقة: "بإمكانك النظر إلينا كلما رغبت بذلك، كما أننا لن نسحب الستائر بعد اليوم، ولكن لِمَ لا تأتِ لزيارتنا؟ والدتنا سيدة رائعة، وسوف يجعلك هذا تشعر بالسعادة العائلية. سوف تنشد لك بيث لو طلبتَ منها ذلك، وسوف ترقص إيمي الصغيرة، وسوف نعمل جميعًا على جعلك تضحك بما نرويه لك من روايات مضحكة. أعتقد بأنك سوف تستمتع بوقتك معنا، ثم سألته:

"هل تعتقد بأن جدك قد يعترض على ذلك؟"

أجاب لوري: "أعتقد بأنه سوف يوافق لو طلبت منه والدتك ذلك. جدي طيب جدًّا، رغم أنه قد يبدو صارمًا، كلُّ ما في الأمر أنه قد يخشى أن أتسبب لكم بالإزعاج."

أجابت جو: "نحن لسنا غرباء عنك، نحن أصدقاء من الجوار؛ لذا ليس عليه أن يخشى من أن تتسبب زيارتك لنا بأي إزعاج لنا كما أن بودنا التعرّف عليه أيضًا."

ثم استمرّا بتبادل مختلف الأحاديث بكل مودة، وبذلك كان الوقت قد مرّ بسرعة.

كانت جو قد روت له كل ما يتعلق بعملها اليومي لدى العمة مارش، وكان لوري قد ضحك كثيرًا عندما حدثته عن ببغاء العمة الذي يتكلم الإنكليزية. كما تحدثا عن الكتب، وعن اللوحات، وقال لوري:

"إن كنت تحبين اللوحات فسوف أصطحبك إلى الطابق السفلي لكي تستمتعي بالنظر إلى ما لدى جدي من لوحات جميلة جدًّا، ولا داعيَ لشعورك بالحرج فهو حاليًّا خارج المنزل."

قالت جو: "أنا من النوع الذي لا يخشى شيئًا."

نظر إليها الفتى بإعجاب، وقال: "لست أعتقد ذلك!"

ثم توجّها معًا إلى الطابق السفلى، وتنقلا من غرفة لأخرى إلى أن وصلا الى المكتبة. وكانت جو قد شعرت بالكثير من السرور عندما شاهدت الرفوف التي تحتوي على العديد من الكتب القيّمة، وقالت:

"كم هذا رائع! لديكم هنا الكثير من الكتب."

ثم جلست على مقعد مريح، وقالت:

"تيودور لورانس عليك أن تكون أسعد فتى في العالم."

قال لوري: "لكن ليس بإمكان المرء أن يعيش على الكتب فقط."

وقبل أن يكون لدى جو الوقت للإجابة كان أحدهم قد قرع الباب ما جعل جو تقفز على قدميها، وتقول:

"أووه يا إلهي يبدو أن جدك قد عاد إلى المنزل."

قال لوري: "حسنًا ما الأمر؟ ألم تقولي بأنك لا تخشين شيئًا؟"

أجابت جو: "أعتقد أنني في الحقيقة أخاف من جدّك بعض الشيء، وليس بامكاني معرفة السبب في ذلك. لكنني لن أخشى من تصرفي مادامت والدتي قد وافقت على زيارتي لكم، وأعتقد بأنني لم أكن قد تسببت بزيارتي هذه بما قد يضر بصحتك."

قال لوري: "بل على العكس، فأنا الآن أشعر بالكثير من التحسّن، وما أخشاه أن أكون أنا قد ضايقتك وأتعبتك بالتحدث إليّ طوال ذلك الوقت."

وكانت الخادمة قد دخلت، وقالت: "سيدي، الطبيب هنا، جاء لكي يطمئن على صحتك."

قال لوري: "هل يضايقك أن أتركك بمفردك هنا لبضع دقائق فقط ريثما أرى الطبيب؟"

أجابت جو: "لا على الإطلاق، ليس عليك أن تقلق لأجلي فأنا مسرورة جدًّا هنا."

ذهب لوري لمقابلة الطبيب، بينما كانت جو تتنقل بين اللوحات إلى أن توقفت أمام لوحة كبيرة تمثّل السيد لورانس الجد، وكان الباب قد فُتح حينذاك ودخل الرجل العجوز.

لم تكن جو قد استدارت للنظر إلى من دخل الغرفة، واعتقدت بأنه لوري، وقالت:

"ليس عليّ أن أخاف منه. فله عينان تشعّان بالطيبة، على الرغم من الصرامة التي يشير إليها فمه، وعلى الرغم من أن نظرته تشير إلى أنه حازم جدًّا فهو يبدو لطيفًا طيبًا مثل جدّي؛ لذا فقد أحببته بالفعل."

حينئذٍ سمعت جو صوتًا عميقًا يقول:

"شكرًا لك سيدتي." وكان ذلك صوت السيد لورانس الذي كان واقفًا خلف ظهرها.

كان وجه جو قد اصطبغ بالحمرة، وقد بدأت تشعر بالخوف مما قالته، وكانت ـ للحظة ـ قد رغبت بالفرار من الغرفة، لكن ذلك كان سيبدو جبنًا منها؛ لذا قررت أن تبقى، وكانت عندما نظرت إلى عيني ذلك الرجل العجوز قد وجدتهما أكثر طيبة مما ظهر في اللوحة التي تمثّله، وبذلك لم تعد تشعر بالخوف. كان صوته قد بدا أكثر صرامة من السابق عندما سألها:

"كما أنك لا تشعرين بالخوف مني أليس كذلك؟"

أجابت جو: "ليس كثيرًا سيدي."

وأضاف: "وأنت ترين بأنني أبدو حازمًا جدًّا، مع الآخرين هل أنا كذلك؟"

أجابت جو: "هذا ما أعتقده سيدي."

ـ "لكنك قد أحببتِني مع ذلك؟"

ـ "نعم، بالفعل سيدي."

كانت تلك الإجابة قد أعجبت الرجل العجوز؛ ولذلك كان قد ضحك وصافحها.

وكان بعد أن نظر إليها بإمعان قد قال:

"أرى بأن لك شخصية جدك، وإن كنت لا تشبهينه بالشكل. كان رجلًا رائعًا عزيزتي. كنت قد عرفته رجلًا شجاعًا وشريفًا، وكنت أفخر بأن أكون من أصدقائه."

قالت جو: "شكرًا لك سيدي." ولم تعد تشعر بأي خوف منه.

ثم سألها: "ماالذي كنت تفعلينه هنا مع حفيدي؟"

أجابت جو: "كنت أحاول أن أكون ودودة تجاهه بصفتنا نقطن بالجوار."

ثم أعلمتْه كيف كانت قد جاءت لزيارة الفتى.

سألها الرجل العجوز: "هل ترين بأنه بحاجة بعض الشيء إلى بعض الرفقة وإلى من يُدخل البهجة الى نفسه؟"

أجابت: "نعم سيدي، يبدو لي بأنه يشعر بالوحدة."

ضحك العجوز وقال: "حسنًا، حسنًا، أعلمي والدتك بأنني أرغب بزيارتكم ذات يوم للتعرّف عليها." وأضاف: "أعتقد أنه الآن موعد تناول الشاي؛ لذا كوني ودودة وتفضلي بتناول الشاي معنا."

سألته جو بحياء: "أهذا ما ترغب به بالفعل سيدي؟"

أجاب العجوز: "لو لم أكن أرغب بذلك لما طلبتُه منك."

ثم اصطحبها إلى الغرفة الأخرى، وكانت جو قد فكرت وهي برفقة ذلك العجوز النبيل ترى مالذي ستقوله ميج عندما سأروي لها ما حدث؟ وكانت في مخيلتها قد بدأت تتصور ردّة فعلها، مما جعلها تتطلع إلى العودة إلى المنزل بفارغ الصبر؛ لكي تروي للجميع تفاصيل تلك الزيارة؛ لكي ترى ردّة فعل كلٍّ منهن وهي تروي لهم مادار من حديث بينها وبين ذلك العجوز النبيل.

لم يكن العجوز قد تكلم كثيرًا أثناء تناولهم الشاي، وإنما كان يرقب الشابين وهما يتبادلان الأحاديث بكل بهجة. كان السيد لورانس وهو يسمع أحاديثهما، ويرقبهما قد فكّر: ها قد بدأت تبدو على وجه هذا الفتى علامات السعادة والغبطة، وقد عاد اللون إلى وجهه. كانت هذه الفتاة على حق، فهذا الفتى يشعر

بالوحدة وهو بحاجة إلى الأصدقاء. سوف أرى ما الذي سيكون بإمكان تلك الفتيات أن يفعلن لأجله.

كان السيد لورانس قد أحب جو كما كان أسلوبها المهذب في التصرف قد راق له، كما تبين له بأنها تفهّمت لوري كما لو أنها لم تكن فتاة وإنما من الفتيان الذين هم في مثل في سنه.

وكانت جو عندما انتهى الجميع من تناول الشاي قد أبدت رغبتها بالعودة غلى منزلها، لكن لوري قال لها بأن هناك شيئًا آخرَ سوف يطلعها عليه، وكان قد اصطحبها إلى البيت الزجاجي ومشتل الزهور الذي وجدته جو أجمل مكان شاهدته طوال حياتها، ثم قام لوري باقتطاف بعض الورود الجميلة وأعدّ منها باقة رائعة وطلب من جو أن تأخذها لوالدتها تعبيرًا منه على امتنانه، وقال:

"أرجو أن تعلمي والدتك بأنني أحببت جدًّا الدواء الذي أرسلتُه إليّ...؟

لدى عودتهما إلى المنزل وجدا السيد لورانس بانتظارهما في غرفة الجلوس، وكانت جو قد أبدت إعجابها الكبير بالبيانو الذي كان في أحد زوايا الغرفة. كان البيانو مفتوحًا، وبذلك سألت لوري:

"هل تُجيد العزف على البيانو؟"

أجاب لوري: "أقوم بالعزف عليه أحيانًا."

قالت جو: "أرجو أن تعزف الآن؛ لأنني أود كثيرًا سماع عزفك، كي أعلم شقيقتي بيث بذلك؛ لأنها تحب الموسيقى جدًّا."

قال لوري: "لِمَ لا تبدئين أنت بالعزف أولًا."

أجابت جو: "لست أجيد العزف. أنا حمقاء؛ لذا لم أتمكن من تعلُّم العزف، لكنني أحب جدًّا سماع الموسيقى."

وكان لوري قد بدأ يعزف على البيانو، وعندما استمعت جو لعزفه ازدادت تقديرًا للفتى؛ لأنه كان يعزف بشكل رائع، وبذلك تمنت لو أن شقيقتها بيث كانت برفقتها؛ لكي تستمتع بذلك العزف الرائع. وبعد أن توقف عن العزف أشادت جو كثيرًا بعزفه، لكن جدّه لم يكن قد بدا مسرورًا لذلك، وقال:

"لا بأس بعزفه أيتها الشابة، لكن الكثير من الثناء ليس جيدًا بالنسبة إليه، لاشكّ أن الموسيقى فن رفيع لكن عليه أن يهتم بأمور أكثر أهمية. هل ستغادرين الآن؟ أنا ممتن جدًّا لك، وأرجو أن تعودي لزيارتنا عما قريب. شكرًا لك دكتورة جوزفين. عمت مساءً."

وكان قد صافحها بكل حرارة، لكن جو قد لاحظت مع ذلك بأن هناك ما لم يَرُق له؛ لذا سألت لوري فيما إذا كانت قد أساءت التصرف بأمر ما، فقال لوري: "لستِ أنت من جعلته يتضايق، وإنما أنا فهو لا يحب أن يراني أعزف على البيانو."

سألته جو: "ولكن لِم لا؟"

فأجاب: "سوف تعلمين بذلك ذات يوم، عمت مساءً الآن، آمل أن تعودي لزيارتي من جديد."

أجابت جو: "سوف أكرّر الزيارة لو أنك وعدتني بأن تأتي لزيارتنا قبل ذلك."

أجاب لوري: "سوف أفعل ذلك بالتأكيد، عمت مساءً جو ... عمت مساءً."

وعندما عادت جو إلى المنزل رَوَت لعائلتها التفاصيل الكاملة لتلك الزيارة، ورَوَت لهم مغامراتها في ذلك القصر الجميل، بحيث أصبحت كلٌّ من الفتيات تتوق لزيارة ذلك القصر. أما السيدة مارش فكانت قد قالت:

"بودي التعرّف على السيد لورانس لكي يحدثني عن والدي الذي أبدى إعجابه به بأن قال بأنه لم ينسه، وبأنه كان فخورًا بصداقته."

أما ميج فكانت قد رغبت بالذهاب إلى مشتل الزهور في تلك الحديقة الزجاجية. وأما إيمي فكانت قد رغبت بمشاهدة تلك اللوحات الجميلة، بينما تمنت بيث أن تتمكن من العزف على ذلك البيانو الفخم.

وكانت جو قد سألت والدتها: "أمي، هل توافقين على مجيء لوري لزيارتنا؟ سوف يكون ذلك مفيدًا جدًّا له لأنه فقد والدته؟"

وأجابت والدتها: "بالطبع، أنتن تعلمن بأنني أرحب بزيارة أيٍّ من أصدقائكن."

الفصل السابع

زيارة إليزابيت للقصر الجميل

كان ذلك القصر رائعًا بالفعل بما يحتويه من كل تلك الأشياء الجميلة، وعلى الرغم من أن الفتيات كنّ في وقت من الأوقات يخشين الذهاب إليه، وكانت بيث بالذات قد وجدت ذلك أكثر صعوبة؛ لأنها كانت من النوع الخجول جدًّا، ولأن السيد لورانس العجوز ـ كما كان ـ قد يجعلها تشعر بالخوف، لكنه كان ذات يوم قد زار عائلة مارش، وتحدث بشكل ودي مع كلٍّ من تلك الفتيات، وبذلك لم تعد أيٌّ تخشاه، وكانت العائلتان قد أصبحتا بسرعة من الأصدقاء المقربين. كان الجميع يحبون لوري، وكان لوري أيضًا قد أسرّ لأستاذه بأنه يجد جميع بنات العائلة مارش رائعات.

كانت الفتيات قد ذهبن عدة مرات إلى ذلك المنزل الكبير. كانت ميج تتجول في مشتل الزهور كلما رغبت بذلك، وكانت جو تجلس في الغرفة المخصصة لتلك المكتبة والتي تحتوي على العديد من الكتب القيّمة لكي تستمتع بمطالعة الكتب، أما إيمي فكانت تحاول أن ترسم اللوحات، لكن بيث كانت الوحيدة التي لم تكن تمتلك الشجاعة للذهاب إلى ذلك المنزل، رغم أنها كانت تتمنى أن يكون بإمكانها العزف على ذلك البيانو الرائع، لكنها ذات يوم استجمعت شجاعتها وذهبت مع جو إلى ذلك المنزل الرائع، لكن الرجل العجوز الذي لم يكن يعلم مقدار ما في طباع بيث من رهافة إحساس وحياء، كان بادرها بالقول:

"هيه... أنت أيتها الفتاة!"

وهذا ما جعلها تخاف وتغادر على الفور؛ لكي تعود من جديد إلى منزلها، وتقول لوالدتها بأنها لن تضع قدمها فيه بعد الآن، حتى لو كان ذلك لأجل ذلك البيانو

الرائع. ولم تكن أيٌّ منهن قد أفلحت بإقناعها العدول عن ذلك القرار وتخليها عن خوفها من السيد لورانس. وعندما علم السيد لورانس بالأمر قرّر أن يُسوّي الموضوع بنفسه.

وبذلك كان ذات يوم أثناء إحدى زياراته للسيدة مارش قد بدأ يتحدث عن الموسيقى وعن الأدوات الموسيقية الرائعة، وعن مشاهير الموسيقيين، ومشاهير المغنين، ما جعل من المستحيل على بيث أن تظل وافقة خلف الستارة، وكانت بدأت تقترب شيئًا فشيئًا؛ لكي تستمع إلى ما يدور من أحاديث بكل لهفة وحماس.

كان السيد لورانس قد التفت إلى ذلك بالطبع، ولذلك بدأ يتحدث عن المدرس المكلف بتدريس الموسيقى لحفيده لوري، ثم قال للسيدة مارش ـ كما لو أن الفكرة كانت قد خطرت بباله للتو ـ :

"بدأ هذا الفتى لوري يهمل التدرّب على الموسيقى حاليًّا، لكنني مسرور لذلك؛ لأنه قد بدأ يصبح مولعًا بها أكثر مما ينبغي، وبذلك هو يهمل دروسه الأخرى، لكن البيانو يظل بذلك بدون استخدام وهذا ليس جيدًا. ألن ترغب الفتيات بالقدوم من حين لآخر للتدرب على العزف عليه كي يظلّ محافظًا على تناغمه؟ سوف أكون شاكرًا لهن لو فعلن ذلك. لن يكون عليهن التحدث مع أيِّ شخص، فكل ما عليهن هو القدوم في أيِّ وقت للتدرب عليه."

وكان العجوز قد نهض لكي يغادر، وأضاف:

"أرجو أن تبلغيهن ذلك سيدتي، ولكن لا بأس إن لم يكن يهتممن بالأمر، و إن لم تكن لديهن الرغبة بذلك."

ثم نهض لكي يغادر، لكن بيث كانت وهي تعتصر يديها الاثنتين، لمجرد التفكير بإمكانية العزف على ذلك البيانو، قد تخلت عن صمتها وحيائها وقررت أن تتكلم.

ركضت إليه بوجه يشعّ بالحماس والسعادة، وقالت:

"بلى سيدي... بلى... هن يهتممن بالفعل بذلك... هن يهتممن كثيرًا بذلك."

سألها العجوز بلطف: "هل أنت الفتاة الموسيقية؟"

أجابت: " أنا إليزابيت. أنا أعشق الموسيقى، وسوف يسعدني القدوم للتدرب على البيانو لو كان ذلك لن يزعج أحدًا بالفعل."

أجاب العجوز: "لا، عزيزتي، لن يزعج ذلك أحد. المنزل فارغ نصف ساعات اليوم؛ لذا تعالي واعزفي على البيانو بقدر ما يحلو لك ذلك، وسوف أكون ممتنًا لك."

أجابت إليزابيت: "كم أنت طيب سيدي!"

وكان العجوز قد انحنى وقبّلها برقة، وقال بصوت خافت لم يكد يسمعه الآخرون:

"ليباركك الله يا حبيبتي."، ثم التفت إلى السيدة مارش وقال:

"أتمنى لك يومًا سعيدًا." وغادر المنزل بسرعة.

كانت بيث في اليوم التالي بعد أن شاهدت السيد لورانس وحفيده لوري يغادران المنزل الكبير قد ذهبت إلى ذلك المنزل ودخلت الغرفة التي يوجد فها البيانو، وبيدين مرتجفتين بدأت تعزف وتعزف وتعزف بكل لهفة وحماس ما جعل كل من يمر حول المنزل يتوقف لكي ينظر إليها عبر النافذة ولكي يُصغي إلى ذلك العزف الرائع، ذلك لأن بيث كانت بعد أن لمست أصابع البيانو قد نسيت كل شيء عن خوفها ما عدا استمتاعها بالموسيقى، وكانت قد ذهبت بعد ذلك عدة مرات، لكنها لم تكن تعلم بأن السيد لورانس كان يفتح باب غرفته لكي يستمع إلى عزف تلك الصديقة الصغيرة...

وكانت بيث قد قالت لوالدتها بعد بضعة أيام:

"أمي، بما أن السيد لورانس كان طيبًا جدًّا تجاهي بودي أن أعرب له عن شكري؛ لذا فكرت أن أحيك له زوجًا من الجوارب الصوفية."

أجابت والدتها: "نعم حبيبتي، سوف يسره ذلك كثيرًا، سوف أجلب لك ما يلزم لذلك."

وكانت بيث بذلك قد عملت بكل جدّ على حياكة تلك الجوارب إلى أن انتهت من حياكتها، ثم كتبت للعجوز حاشية رقيقة عبرت فيها عن شكرها له، أرفقتها بباقة من الورود الجميلة وأرسلتها إليه بمساعدة لوري.

مرّ يومان وكانت بيث قد بدأت تخشى أن تكون قد تسببت بالإساءة لذلك العجوز الطيب، لكنها كانت بعد يومين لدى عودتها إلى المنزل من نزهة في الخارج قد وجدت شقيقاتها بانتظارها أمام باب المنزل وهنّ في غاية الحماس ومعهن حنا. كانت الفتيات لدى دخولها باب غرفة الجلوس قد أشرن إلى ركن في الغرفة، قالت جو:

"انظري هناك بيث."

وكان وجه بيث قد شحب عندما نظرت إلى ما كان بانتظارها في ذلك الركن، لشدة الانفعال والفرح. كان هناك في ذلك الركن بيانو صغير الحجم عليه رسالة موجهة إلى الآنسة بيث مارش. صاحت بيث:

"أهذا لأجلي؟"

قالت جو: "نعم يا غاليتي هذا لك. أليس هذا الرجل أطيب رجل في العالم؟ افتحي الرسالة لكي نطلع على ما كتب فيها."

فتحت بيث الرسالة وقالت لشقيقتها جو:

"اقرئيها أنت جو فليس بإمكاني ذلك.كم هذا رائع!"

فتحت جو الرسالة وكانت عندما بدأت تقرأها بصوت مرتفع قد بدأت تضحك. كانت الرسالة كالتالي:

الآنسة مارش!

سيدتي! كنت قد اقتنيت الكثير من الجوارب خلال حياتي، لكن لم تكن أيٌّ منها قد ناسبتني كما ناسبتني الجوارب التي قمت بحياكتها بنفسك لي. سوف تذكّرني هذه الجوارب دومًا بالفتاة الطيبة التي أهدتها إلي. كما أن الورود التي كانت مرفقة بالرسالة كانت أجمل ورود رأيتها في حياتي؛ لذا أرجو أن تسمحي للرجل العجوز أن يُعرب لك عن شكره بأن يُرسل إليك أحد الأشياء التي كانت عائدة لحفيدته الصغيرة التي فقدها. مع شكري الجزيل.

خادمك المتواضع المخلص

جيمس لورانس

قالت جو: "هذا شرف كبير لك بيث، كان لوري قد أعلمني بأن السيد لورانس كان يحب حفيدته تلك إلى حدّ كبير، وكانت قد توفيت. فكّري فقط بمعنى هذه اللفتة منه بأن يهبك البيانو الذي كان عائدًا إليها."

وقالت إيمي: "لقد ذيّلها بكلمة خادمك المتواضع. أتمنى لو يكتب إليّ أحدهم مثل هذه الكلمات الرقيقة. سوف أروي ذلك لزميلاتي في المدرسة وسوف يجدون ذلك رائعًا."

ثم قالت حنا: "حاولي العزف على البيانو عزيزتي بودنا أن نسمع صوته."

وكانت بيث بذلك قد بدأت تعزف على البيانو، وأقرّ الجميع بأن ذلك كان أجمل ما سمعنه من ألحان.

قالت جو رغم أنها كانت تعلم بأن بيث سوف تفعل ذلك: "عليك الذهاب إليه لكي تشكريه."

قالت بيث: "هذا ما سأفعله بالطبع. سوف أذهب إليه قبل أن أعود للتفكير بالأمر لكي لا أخاف، وكانت بيث لدهشة كل أفراد العائلة قد خرجت على الفور، وتوجهت إلى منزل السيد لورانس. لكن دهشتهن كانت ستكون أكبر لو رأينها وهي تطرق على باب غرفة السيد لورانس، وكيف كانت عندما سمعت صوته يقول: "تفضل" ، قد دخلت وتوجهت على الفور إلى السيد لورانس الذي كان جالسًا في مقعد مريح وأمسكت بيده، وهي تقول:

"جئت كي أشكرك سيدي." لكنها لم تكن قد أكملت حديثها؛ لأنه كان قد نظر إليها بكل رقة؛ ما جعلها تتذكر بأنه كان قد فقد حفيدته الصغيرة، التي كان يحبها جدًّا، وبذلك كانت قد أحاطته بذراعيها الاثنتين وقبلته بكل حرارة. كان السيد لورانس قد شعر بالكثير من الدهشة، لكنه كان بذات الوقت قد شعر بالكثير من السرور، رفع الصغيرة وأجلسها على ركبتيه وقبّلها. ولم تعد الصغيرة تخاف من السيد لورانس بعد ذلك على الإطلاق، وكانت قد بدأت تتحدث إليه كما لو أنها كانت تعرفه طوال حياتها. كانت بعد ذلك قد صافحته وكان السيد

لورانس قد رافقها إلى البوابة، ثم رفع قبعته وحيّاها، وعاد إلى منزله وهو يشعر بأنه عاد من جديد ذلك الرجل العجوز الوحيد...

الفصل الثامن

جوزفين تتصرف بانفعالية

كانت بيث أكثر الفتيات التزامًا في رحلتها نحو الفضيلة والكمال. صحيح أن كلًّا منهن كانت قد واجهت بعض العقبات والصعوبات أثناء عملها اليومي، لكن بيث التي كانت تتميز بطبيعة هادئة وبمزاج لطيف جدًّا كانت أكثرهن التزامًا. كانت تُنفذ كل ما يطلب منها دون أن تتذمر، أما إيمي فكانت تتذمر على الدوام، وبذلك كانت قد وجدت الكثير من الصعوبات في طريقها؛ لأنها كانت تُثمّن نفسها كثيرًا، حتى أن ميج كانت تسمح لنفسها من حين لآخر بأن تشعر بالأسف، وتتمنى أن تكون ابنة عائلة ثرية؛ لأنها كانت تحب الأشياء الجميلة والملابس الفاخرة، وهذا ما كان يجعلها تتصرف أحيانًا ببعض الحماقة...

لكن الأمر كان الأكثر صعوبة بالنسبة إلى جو نتيجة لطبيعتها الانفعالية؛ لذا فقد حدث ذات يوم بينها وبين شقيتها إيمي ما جعلها تتعثر كثيرًا، وتتوقف عن مسيرتها نحو الكمال ونحو الطريق القويمة لكي تصل إلى المدينة الفاضلة...

بينما كانت جو وميج بعد ظهيرة أحد الأيام تستعدان للخروج كانت إيمي التي كانت قد بدأت تتعافى من نزلة برد شديدة قد جاءت إلى غرفتهما، وسألتهما عن المكان الذي ستذهبان اليه.

قالت جو: "على الفتيات الصغيرات ألا يُوجّهن الكثير من الأسئلة."

التفتت إيمي إلى ميج وقالت:

"ميج أعلميني أنت إلى أين أنتما ذاهبتان. بيث منهمكة بالعزف على البيانو، وأنا أشعر بالكثير من الملل."

ولكن عندما بدأت ميج تقول لإيمي: "ليس بإمكانك أن ترافقينا عزيزتي؛ لأنك لست مدعوّة."

قاطعتها جو بسرعة قبل أن تُنهي حديثها وقالت:

"التزمي الصمت ميج وإلا فسوف تفسدين كل شيء."

ثم التفتت إلى إيمي وقالت:

"ليس بإمكانك أن ترافقينا إيمي، والآن لا تبكي كما يبكي الأطفال."

قالت إيمي وهي تبكي: "أعلم بأنكما ذاهبتان إلى مكان ما مع لوري. لابد أن ذلك إلى المسرح لمشاهدة تلك المسرحية التي قد وافقت أمي على أن أشاهدها أنا أيضًا. ليس من العدل ألا تعلماني بذلك."

قالت ميج: "أصغي إليّ إيمي والدتنا لا ترغب بخروجك من المنزل هذا الأسبوع؛ لأنك لم تتعافي بعد من نزلة البرد. سوف تذهبين لمشاهدة تلك المسرحية الأسبوع القادم مع بيث وحنا."

قالت إيمي: "لكنني لن أستمتع بذلك كما لو كنت سأذهب برفقتكما وبرفقة لوري. رجاءً دعوني أذهب معكم، فأنا أشعر بالكثير من الملل من البقاء محتجزة في المنزل وسوف أتصرف بشكل جيّد جدًّا."

قالت ميج: "حسنًا، ماذا لو اصطحبناها معنا لا أعتقد أن والدتنا ستعترض على ذلك. سوف نجعلها تضع الملابس الثقيلة التي تحميها من البرد."

لكن جو قالت بغضب: "لو كانت سترافقنا فلن أذهب أنا معكم، وإن لم أرافقكم فلن يحب لوري ذلك، كما أن من غير المناسب أن ترافقنا إيمي. أعتقد بأنها لن ترغب في الذهاب إلى مكان ما لم تتم دعوتها إليه وإلى المكان الذي لا يرغب أحد بوجودها فيه."

كانت تلك الكلمات قد جعلت إيمي تشعر بالإهانة والغضب. بدأت تبكي وتقول: "سوف أذهب معكم، سوف أذهب معكم... بإمكاني أن أدفع ثمن البطاقة بنفسي. بإمكاني ذلك، ولن يكون للوري أية علاقة بالأمر."

ثم بدأت ترتدي ملابسها. كان لوري قد وصل حينذاك وهتف للفتاتين من الطابق السفلي بأنه بانتظارهما، وبذلك أسرعت الفتاتان إلى الطابق السفلي، وتركتا إيمي وهي تبكي كالأطفال، وكانت إيمي بعد خروجهما قد صاحت:

"جو مارش، سوف تندمين لما فعلته... سوف ترين أنني سوف أجعلك تندمين على ذلك..."

قالت جو: "يا لها من طفلة بلهاء."، ثم خرجت بعد أن أغلقت باب المنزل بعنف.

كانت الفتاتان قد استمتعتا بمشاهدة تلك المسرحية، لكن جو كانت من حين لآخر تشعر بالتوتر، وكانت تفكر باستمرار بإيمي التي كانت تبكي بتلك الحرارة، وتتساءل عما ستفعله شقيقتها لكي تجعلها تندم كما قالت لها.

وكانت الفتاتان لدى عودتهما إلى المنزل قد وجدتا إيمي هادئة تمامًا. كانت تطالع في أحد الكتب ولم تكن قد نظرت إليهما، كما لم تكن قد وجّهت إليهما أية أسئلة حول المسرحية على عكس عادتها، وإنما اكتفت بسماع ما كانتا ترويانه لبيث.

كانت جو عندما صعدت إلى غرفتها لكي تخلع ملابسها قد نظرت إلى مكتبها لكي تتأكد من أن كل شيء عليه لا زال في مكانه؛ لأن إيمي كانت في المرة الاخيرة التي تشاجرتا فيها قد رمت كل ما عليه على الأرض، لكن كل شيء كان في مكانه؛ لذا اعتقدت جو بأن إيمي قد نسيت ما حدث وبأنها قد سامحتها... لكن جو كانت مخطئة في اعتقادها؛ لأنها كانت في اليوم التالي قد اكتشفت ما تسبب بعاصفة كبيرة في كلِّ المنزل.

وبينما كانت بيث وميج وإيمي جالسات معًا في غرفة الجلوس، اقتحمت جو الغرفة، وسألت فيما إذا كانت إحداهن قد رأت كتابها، وكانت كلٌّ من ميج وبيث قد أجابتا بالنفي. لكن جو عندما التفتت إلى إيمي التي لم تكن قد أجابت وجدت بأن وجهها قد اصطبغ بحمرة قانية وبذلك سألتها على الفور:

"إيمي هل أنت من أخذت كتابي؟"

أجابت إيمي: "لا... لم آخذه."

صاحت جو: "هذا ليس صحيحًا." وكان الشرر قد بدأ يتطاير من عينيها بحيث يجعل أيَّ شخص أكثر شجاعة من إيمي الصغيرة يشعر بالخوف.

قالت جو من جديد: "إيمي أجيبيني لابدّ أنك تعرفين شيئًا عن الأمر، ومن الأفضل لك أن تقولي الحقيقة على الفور."

ثم أمسكت بكتف إيمي وبدأت تهزّها قليلًا، وكانت إيمي حينذاك قد صاحت: "لست أهتم مطلقًا بكتابك السخيف ذاك، ومهما قلتِ أو فعلتِ فلن ترينه بعد الآن."

صاحت جو: "ما الذي فعلتِه بكتابي؟"

أجابت إيمي: "لقد أحرقتُه بالكامل..."

صاحت جو وقد شحب وجهها إلى حدّ كبير، وبدأت يداها ترتجفان:

ماذا؟ هل أحرقتِ ما كتبتُه؟ وأضعتِ ما كنتُ أعمل عليه منذ فترة طويلة كي يكون جاهزًا عندما سيعود والدي؟ أووه... هل هذا ما فعلته بالفعل؟"

قالت إيمي: "نعم، لقد فعلت ذلك. قلتُ لك بأنني سوف أجعلك تندمين وبأنني سوف أجعلك تدفعين ثمن تصرفك تجاهي وبذلك..."

لكن إيمي لم تكن قد تمكنت من استئناف كلامها؛ لأن جو كانت قد أمسكت بها وبدأت تهزّها بعنف، وهي تقول:

"أنت أيتها الفتاة الشريرة! أيتها الفتاة السيئة! لن يكون بإمكاني مطلقًا أن أكتب من جديد ما كنت قد كتبته طوال الأشهر الماضية. لن أسامحك ما حييت..."

كانت ميج قد أسرعت لنجدة إيمي، كما أسرعت بيث لتهدئة جو، لكن جو كانت تستشيط غضبًا، وكانت قد خرجت من الغرفة وصعدت إلى غرفتها حيث استلقت هناك على الأريكة وبدأت تبكي وتبكي بحرقة...

كانت السيدة مارش عندما عادت إلى المنزل وعلمت بما جرى قد بدت في غاية الجدية والصرامة تجاه إيمي، مما جعلها تدرك بأن ما فعلته بشقيقتها كان سيئًا للغاية. كان ذلك الكتاب عبارة عن ست قصص قصيرة، كانت جو قد

كتبتها؛ لكي يتم نشرها، وكانت إيمي قد أحرقت ودمرت جهد شقيقتها الذي دام لأشهر طويلة وبذلك كانت بفعلتها قد تسببت لجو بخسارة كبيرة لا يمكن أن تعوض؛ لأن النسخة التي أحرقتها كانت النسخة الأخيرة التي كانت جو قد أعدتها مؤخرًا؛ لكي تكون صالحة للنشر، ولم تكن لديها أية مسودات عنها، وهذا ما جعل جو تشعر بأنه لا يوجد أيُّ شيء في العالم بإمكانه أن يُعوضها عن تلك الخسارة...

أما بالنسبة إلى إيمي فقد شعرت من تصرف جميع من حولها بأنها قد فقدت محبتهن جميعًا، وبأن الأمور لن تعود كما كانت ما لم تطلب السماح من شقيقتها جو على ذلك التصرف؛ ولأنها كانت قد شعرت أيضًا بالأسف لما تسببت لشقيقتها من ضرر ومن ألم. وكانت عندما اجتمعت العائلة في موعد تناول الشاي وشاهدت جو وعلى وجهها علامات الغضب الشديد، استجمعت إيمي كل شجاعتها وبدأت تقول:

"جو، أرجو أن تسامحيني. آنا آسفة للغاية... أنا آسفة جدًّا جدًّا."

لكن جو كانت قد أجابتها بكل قسوة:

"لا، لن أسامحك ما حييت." ثم أعرضت عن إيمي ولم تعد حتى تنظر إليها.

ولم تكن إحداهن طوال تلك الأمسية قد أشارت من جديد إلى ذلك الإشكال الكبير، وكانت إيمي قد أجهشت بالبكاء بينما لاذ الجميع بالصمت.

عندما ذهبت كلٌّ منهن إلى فراشها وكانت السيدة مارش كعادتها قد أتت إلى غرفة جو وميج كي تقبلهما وتتمنى لهما ليلة سعيدة قبل النوم كانت قد همست لجو:

"حبيبتي جو! حاولي أن تغفري لشقيقتك فعلتها، ولا تدعي الشمس تغيب على غضبك، سامحيها ولتبدأ كلٌّ منكما صباح الغد صفحة جديدة مع إشراق اليوم الجديد."

كانت جو ترغب بالالتجاء إلى صدر والدتها لكي تبكي حزنها وألمها، لكنها شعرت بأن إيمي قد جرحتها في أعماقها وبذلك لن يكون بإمكانها أن تغفر لإيمي

فعلتها، وكانت قد هزت رأسها بالنفي؛ لأن إيمي كانت تسترق السمع إليهما، ثم قالت:

"كان ذلك تصرفًا شريرًا من إيمي، وهي لا تستحق أن أغفر لها ما فعلته."

ثم ذهبت كلٌّ منهن إلى فراشها، ولم تكن قد دارت بين الشقيقات أية أحاديث مبهجة قبل النوم كما كان من عادتهن.

كانت الأمور قد بدأت تبدو جيدة في صباح اليوم التالي، لكن إيمي كانت قد بدأت تندم؛ لأنها اعتذرت لشقيقتها، لكن جو كانت لا تزال تنظر إليها بقسوة، كما لم تكن توجّه إليها الحديث. كانت جو بعد الظهيرة قد قررت الطلب من لوري مرافقتها للتزلج عن الجليد، حدثت نفسها:

"ليس لديّ هنا من يتعامل معي بمودة بينما يظهر لي لوري دومًا المودة، ويجعلني أبتهج. سوف يجعلني الخروج معه سوف بوضع أفضل."

ثم خرجت، وكانت إيمي قد شاهدتها تخرج وهي تحمل حذاء التزلج على الجليد، وقالت لميج:

"أترين؟ كانت قد وعدتني بأن أخرج للتزلج معها في المرة القادمة قبل أن يذوب الجليد، وها هي تخرج بمفردها . لا فائدة من أن يطلب المرء مثل هذا الأمر من إنسانة غير ودودة مثلها."

قالت ميج: "لا تقولي هذا إيمي؛ لأنك كنت قد تصرفت تجاهها بشكل سيء جدًّا، ومن الصعب أن تنسى وتغفر لك؛ لأنك تسببت بخسارتها لكتابها القيّم، ولو كنت قد طلبت منها ذلك في وقت أفضل لكانت ستوافق. اتبعيهما ولكن لا تقولي لها شيئًا قبل أن تكون قد بدأتْ تشعر بأنها بوضع أفضل بخروجها مع لوري، ثم قومي بعد ذلك في لحظة هدوء بتقبيلها، وأنا متأكدة من أنكما ستعودان كما كنتما."

وجدت إيمي تلك النصيحة جيّدة جدًّا، وقالت:

"سوف أحاول ذلك." ثم أسرعت باللحاق بشقيقتها ولوري، لكن شقيقتها ولوري كانا قد بدآ التزلج عندما وصلت إلى جانب النهر. كانت جو قد شاهدت

إيمي عن بعد لكنها استدارت إلى الناحية الأخرى، أما لوري فلم يكن قد شاهد إيمي؛ لأنه كان منهمكًا بمحاولة معرفة المكان الأفضل للتزلج الذي لم يكن الجليد قد بدأ يذوب فيه؛ لأن الطقس كان قد بدأ يصبح أكثر دفئًا، وقال لجو:

"سوف أبدأ أنا بالتزلج؛ لكي أتأكد من أن الجليد لازال قاسيًا."

كانت جو قد شاهدت إيمي وهي تحاول أن تلبس حذاء التزلج، لكنها لم تلتفت إليها، وإنما لحقت بلوري إلى النهر وهي تشعر بسرور غامض مع مزيج من التعاسة؛ لأن شقيقتها كانت تُعاني.

وبذلك كانت قد تركت غضبها منها يتصاعد، وتركت المجال لأفكارها السيئة لتسيطر عليها. كان لوري قد صاح من أمامها:

"عليك التزام التزلج إلى جانب الشاطىء. هذا أفضل؛ لأن الجليد ليس قاسيًا في منتصف النهر."

كانت جو قد سمعت ما قاله لكن، إيمي لم تكن قد سمعته. نظرت جو إلى الخلف وشاهدت شقيقتها التي لا تزال تحاول أن تلبس حذاء التزلج، وحدثت نفسها:

"لست آبه فيما إذا كانت قد سمعت ذلك أم لا، وعليها أن تتدبر نفسها بنفسها."

كان لوري قد اختفى خلف أحد المنحدرات، وكانت جو قد بدأت تتتبعه بينما كانت إيمي قد بدأت تتوجه نحو منتصف النهر وإلى المنطقة التي لم يكن الجليد قد ذاب فيها.

كانت جو قد توقفت للحظة لكنها قررت أن تتابع التزلج للحاق بلوري، لكن شيئًا ما كان قد جعلها تعود أدراجها في الوقت المناسب؛ لكي تشاهد إيمي وهي تصدر صيحة وتسقط في النهر في المنطقة التي كان فيها الجليد قد ذاب... شعرت جو بأن قلبها قد توقف عن الخفقان لشدة الخوف. حاولت أن تنادي لوري، لكن صوتها خانها، وحاولت أن تسرع لإنقاذ شقيقتها، لكن قدماها خانتاها. كان كل ما أمكنها أن تفعله هو أنها تسمّرت في مكانها بعينين مشدوهتين لشدة الرعب، وهي تنظر إلى المعطف الصغير يغوص في المياه...

وكانت قد وجدت لوري فجأة إلى جانبها وهو يصرخ:

" اقتلعي قطعة خشب من السياج بسرعة. كيف لم تدرك إيمي أن الجليد قد ذاب في منتصف النهر؟ ألم أكن قد أعلمتك بذلك؟"

وكانت جو بعد جهد جهيد دام لبضع دقائق قد تمكنت من انتزاع قطعة من الخشب من السياج كما طلب منها لوري، لكنها عندما عادت إلى المكان الذي كانت قد سقطت فيه إيمي وجدته مستلقيًا على الجليد بكل هدوء ممسكًا بيديه الاثنتين إيمي، وهو يحاول إخراجها من المياه المتجمدة...

وكان الاثنان بعد دقائق قد تمكنا من إنقاذ الطفلة التي كانت تشعر بالرعب أكثر من كونها قد أصيبت بالأذى، ثم صاح لوري:

"علينا الآن أن نخلع معاطفنا وندثّرها بها، ونعود على الفور إلى المنزل وبأسرع ما يمكن."

كانت إيمي وهي ترتجف وتبكي تسيل المياه من ملابسها قد وصلت إلى المنزل حيث كان قد تم تغيير ملابسها وتدثيرها بالأغطية ووضعها على الأريكة أمام الموقد وبذلك خلدت للنوم.

لم تكن جو خلال كل ذلك الاهتياج قد تفوهت بأية كلمة، وكانت قد نسيت يديها اللتين أصيبتا بالجروح بسبب المياه المتجمدة، كما كان وجهها قد شحب إلى درجة كبيرة. كانت السيدة مارش عندما خلدت إيمي للنوم قد استدعت جو إلى جانبها لكي تُضمد لها الجروح التي أصابت يديها أثناء انتشال إيمي من المياه.

همست جو لوالدتها بلهفة: "هل تأكدتِ من أنها نجت من الخطر؟"

أجابت السيدة مارش: "نعم حمدًا لله لقد نجت، أنا متأكدة تمامًا من ذلك. كنتما قد تصرفتما بحكمة عندما دثرتماها بتلك المعاطف وأعدتماها إلى المنزل بسرعة."

كانت جو قد جلست إلى جانب السرير وأخذت تبكي بحرقة وتشكر الله؛ لأنه جنبّها مثل ذلك العقاب، ثم رَوَت لوالدتها كل ما حدث، وقالت:

"كان لوري من قام بكل ذلك، أما ما فعلته أنا فهو أنني كنت قد تركتها تذهب إلى ذلك المكان. أمي، لو كانت ستموت أو تصاب بأيِّ مكروه فسوف يكون ذلك بسببي. نعم يا أمي!... هذا هو مزاجي السيء رغم أنني أحاول دومًا أن أتغيّر وأن

أسيطر على غضبي، لكنه كان قد انفجر فجأة وجعلني أتصرف بشكل سيء. أمي! أعلميني كيف بإمكاني أن أسيطر على غضبي، وما الذي عليّ أن افعله؟"

قالت السيدة مارش وهي تقبل برقّة وجه جو الذي كان مبللًا بالدموع: "كل ما عليك أن تطلبي من الله ـ تعالى ـ أن يساعدك على كبح جماح غضبك، وأن تراقبي تصرفاتك دومًا بحيث لا يتسبب انفعالك بوقوعك في الخطأ."

أجابت جو: "أنت لا تعلمين كم هذا سيء! يبدو أنه لن يكون بإمكاني قط أن أكبح جماح مزاجي السيء. بإمكاني جرح مشاعر أيِّ شخص، وأن أستمتع بذلك؛ لذا بدأت أخشى من أن يؤدي ذلك إلى ارتكابي أمورًا قد أندم عليها طوال حياتي. أرجوكِ يا أمي أرجوكِ أن تساعديني."

أجابت السيدة مارش: "سوف أعمل على ذلك يا ابنتي. لا تبكي بهذا الشكل حبيبتي، لكن عليك أن تتذكري دومًا ما حدث اليوم، وأن تُقرري بملء إرادتك ألا تندفعي بغضبك بعد اليوم.

جو عزيزتي!... لكلٍّ منا أحيانًا نقاط ضعفه، وقد يستغرق منا التخلص منها والسيطرة عليها في كثير من الأحيان طوال حياتنا. كنت سابقًا بذات مزاجك تمامًا وقد حاولت أن أسيطر على نفسي لمدة أربعين عامًا إلى أن تمكنت الآن من الانتصار عليها. أنا أغضب كل يوم تقريبًا، لكنني تعلمت ألا أظهر ذلك، ولا زلت آمل حتى الآن أن أتمكن من السيطرة على نفسي وقد يأخذ ذلك مني المزيد من سنوات حياتي..."

كانت جو بذلك قد شعرت ببعض الارتياح عندما علمت بأن والدتها كان لها ذات الجانب الضعيف في شخصيتها، وبأنها كانت قد تمكنت من السيطرة عليه، وبذلك قالت:

"أمي الغالية! لو كنت سأصبح بمثل طيبتك، فسوف أكون أسعد فتاة في العالم."

قالت السيدة مارش: "آمل أن تصبحي أفضل مني بكثير عزيزتي، لكن عليك أن تستمري في السيطرة والانتصار على ذلك العدو، وإلا فسوف تتعرضين للمعاناة، وسوف يفسد ذلك حياتك. كان ما حدث بمثابة الإنذار لك. تذكري ذلك طوال

حياتك، وحاولي دومًا بكل ما بإمكانك أن تضبطي أعصابك قبل أن يتسبب لك ذلك بالحزن والأسف بما سيجعلك تندمين عليه طوال حياتك."

قالت جو: "سوف أحاول أمي. سوف أحاول ذلك بكل ما بإمكاني."

وكانت الأم وابنتها قد تبادلتا الحديث لبعض الوقت، إلى أن بدأت إيمي تتحرك في فراشها. نظرت جو إلى والدتها وقالت:

"كنت على ما يبدو قد تركت بالفعل الشمس تشرق بيوم جديد على غضبي ولم أكن قد سامحتها. ولو لم يكن لوري موجودًا لكان الوقت قد تأخر كثيرًا على قيامي بذلك. كم كنتُ سيئة!..."

وكانت قد انحنت نحو شقيقتها ولمست شعرها برفق، وكانت إيمي عندما سمعت ما قالته جو قد فتحت عينيها ومدّت ذراعيها نحو شقيقتها، وابتسمت لها ابتسامة وصلت إلى أعماق قلب جو . ولم تكن أيٌّ من الشقيقتين قد قالت شيئًا، واكتفتا بعناق حار، وبذلك كان بتلك القبلة المحبة التي تبادلتاها، قد تم نسيان كل ما حدث...

الفصل التاسع

زيارة ميج لصديقتها

كان الشتاء قد انقضى، وكان الحدث الهام بالنسبة إلى ميج هو زيارتها لصديقتها آني موفات. كانت عائلة موفات من العائلات الثرية جدًّا التي تعيش في منزل كبير فخم في المدينة، وبذلك كانت بيث وجو وإيمي قد بذلن كل جهد لمساعدة شقيقتهم الأكبر سنًّا ميج بالاستعداد لتلك الزيارة الهامة، كما كانت كلٌّ منهن تشعر بالكثير من الحماس بأن تكون ميج على أبواب تجربتها الأولى للحياة العصرية. كانت ميج قد شعرت في البداية ببعض القلق من زيارة ذلك المنزل الرائع ومن مخالطة أولئك الأشخاص الذين يرتدون الملابس العصرية الفخمة، لكن أفراد عائلة موفات كانوا في غاية الطيبة واللطف تجاهها ما جعل ضيفتهم تشعر بالراحة على الفور. ومع ذلك كانت ميج عندما قاربت زيارتها على نهايتها، على أتم الاستعداد للعودة إلى منزلها وإلى حياتها؛ لأنها كانت تعلم بأن عائلتها لن ترضى بالفعل على الطريقة التي عاشت بها خلال الأسبوعين اللذين أمضتهما في منزل عائلة موفات.

كان من الممتع بالطبع أن تستقلّ العربات الفخمة، وأن ترتدي أكثر الملابس أناقة، وألا يكون لديها ما يشغلها سوى الاستمتاع بالوقت؛ لذا كانت لدى عودتها من جديد إلى منزل العائلة قد قالت وهي جالسة مع والدتها وشقيقتها جو:

"منزل تلك العائلة جميل جدًّا، إن لم أقل بأنه رائع، لكنني أحب منزلنا أكثر."

قالت والدتها: "أنا سعيدة بسماع ما قلته عزيزتي؛ لأنني كنت أخشى أن تجدي منزلنا مملًّا ومتواضعًا بعد زيارتك لذلك المنزل الفخم ولتلك العائلة الثرية."

وكانت ميج قد رَوَت لوالدتها وشقيقاتها جميع التفاصيل المتعلقة بتلك المغامرة البهيجة التي مرت بها مرات ومرات، وكيف كانت قد أمضت أسعد الأوقات في

حياتها، لكن كان هناك ما يشير إلى أنها كانت تشعر ببعض القلق؛ لذا كانت بعد ذهاب شقيقتيها الأصغر سنًّا للنوم، قد نظرت فجأة إلى والدتها وشقيقتها جو وقالت:

"أمي، أريد أن أعلمك بأمر ما."

أجابت والدتها: "كنت متأكدة بأن هناك ما يشغل بالك لكن ما الأمر عزيزتي؟"

سألتها جو: "هل عليّ أن أدعكما بمفردكما؟"

لكن ميج أجابت: "لا بالطبع، فأنا من عادتي أن أطلعك دومًا على كل شيء. كنت أشعر بالحياء من التحدث أمام شقيقتيّ الأصغر سنًّا، لكنني أرغب بأن تعلمي بأنني كنت قد قمت ببعض التصرفات غير المناسبة أثناء زيارتي لعائلة الموفات."

قالت السيدة مارش، وهي تبتسم وإن كانت قد بَدَت قلقة بعض الشيء:

"نحن على استعداد لسماعك."

ـ"كنتُ قد أعلمتُكما بأنني تركتُ الفتيات يساعدنني في ارتداء الملابس المناسبة للذهاب إلى الحفل الراقص، لكنني لم أعلمكما بأنني كنتُ قد وافقتُ على قيامهم بوضع المساحيق التجميلية على وجهي بحيث أصبحت أشبه بلوحة جميلة. كان لوري متواجدًا في ذلك الحفل، وأعتقد بأنه وجد بأن ذلك لم يكن مناسبًا، رغم أنه لم يقل ذلك. أعلم بأن تصرفي كان سخيفًا، وبأنك لن توافقي على ما فعلتُه، لكن الفتيات كن قد أبدين إعجابهن بي، وقلن بأنني جميلة للغاية، ما جعلني أترك لهن المجال لجعلي أتصرف بتلك الحماقة."

سألتها جو: "أهذا كل شيء؟"

وكانت السيدة مارش قد نظرت إلى ابنتها الجميلة، ووجدت بأنه من العسير عليها أن تُوجّه إليها اللوم على مثل تلك الحماقة البسيطة.

أجابت ميج: "لا، لكنني كنت أيضًا قد شربت النبيذ ما جعلني أتصرف ببعض الحماقة."

كانت والدتها حينئذ قد التزمت الصمت، وبدت في غاية الجدية للحظات، ثم قالت:

"ربما لم يكن من الحكمة أن أدعك تختلطين بمثل أولئك الأشخاص، الذين لا أعرف الكثير عنهم. هم طيبون بالطبع لكن ربما لديهم في حياتهم العصرية الكثير من العادات والأفكار الخاطئة. أنا آسفة للغاية لما قد تكون تلك الزيارة قد تسببت به لك من ضرر."

أجابت ميج، وقد شعرت بالخجل والارتباك:

لا داعيَ لأسفك أمي، فلن أدع المجال لما حدث لإلحاق الضرر بي، لكن من الجيّد أن يستمع المرء للمديح، وأن يلقى الإعجاب ممن حوله، ليس بإمكاني أن أقول بأنني لا أحب ذلك."

أجابت والدتها: "هذا أمر طبيعي عزيزتي، وهو لا يتسبب بأي ضرر ما لم يَقُدِ المرء إلى ارتكاب الحماقات أو إلى ارتكاب بعض الأخطاء، عليك أن تتعلمي كيف تتعاملين مع المديح الذي تستحقينه، وأن تجعلي من حولك يعجبون بك لكونك متواضعة، وليس لأنك جميلة فقط. أعتقد بأن الوقت قد حان كي أتحدث معك ومع جو عن الموضوع المقدس وهو الزواج.

أنتما لا تزالان صغيرتي السن لكي تفهما الأمر بالشكل المطلوب؛ لذا أصغيا إلى وساعداني على أن أرشدكما إلى الطريقة الأمثل لزواج تتمنى كلُّ أم من الأمهات أن تهيئه لبناتها."

وكانت السيدة مارش قد أمسكت بيد كلٍّ من ابنتيها، وبدأت تتحدث إليهما بهدوء وجدّية ولكن ذلك كان بذات الوقت بسرور قالت:

"ما أرغب به هو أن تكون بناتي جميلات وطيبات؛ لكي يحبهن الجميع، ولكي يتزوجن بأسلوب حكيم لكي تكون حياتهن سعيدة ولكي يُنشئن أسرًا سعيدة، حتى لو كان ذلك بقليل من المعاناة إن كان الله قدر عليهن المعاناة.

أن يتم اختيار الفتاة من قبل رجل صالح يحبها ويقدرها، هو أجمل وألطف وأسعد أمر تحصل عليه أية فتاة خلال حياتها. وأنا أتمنى من كل جوارحي أن تحظى بناتي بمثل هذه السعادة. من الطبيعي يا عزيزتيّ أن تفكر كل فتاة بذلك كما أن لكلٍّ منكن الحق بأن تأمل بذلك، كما أن من الحكمة أن تكون المرأة على

استعداد عندما يحين الوقت، للاستمتاع بالحياة العائلية، وللقيام بما عليها من واجبات زوجية.

وأنا مثل جميع الأمهات أتمنى لبناتي الأفضل، لكن أن تتزوجن من أيِّ رجل لأنه ثري فقط ولديه منزله الفخم فهذه ليست بالحياة العائلية السعيدة؛ لأنها تفتقر إلى الحب. المال شيء ضروري عندما يتم استخدامه بالطريقة المناسبة، لكنني لا أرغب مطلقًا أن تعتبرا المال الثمن والجائزة التي قد تسعيا للحصول عليها. أنا أفضل أن تتزوجا من رجل فقير الحال لو كنتما ستعيشان بسعادة على أن تكونا ملكتين وتفتقدا الحب والاحترام والسكينة في حياتكما الزوجية. عليكما أن تتذكرا دومًا شيئًا واحدًا هو أن والدتكما على استعداد دائم لسماعكما لكي تساعدكما ولكي ترشدكما، وبأن والدكما هو دومًا الصديق الذي بإمكانكما اللجوء إليه لطلب المشورة. كلانا نثق بكما ونأمل أن تكون لنا بناتنا سواء أكن متزوجات أو عازبات العزاء والفخر في حياتنا."

أجابت كلٌّ من ميج وجو على الفور :

"سوف نكون كذلك أمي. سوف نكون كذلك. ثقي بذلك."

وكانت والدتهما قد قبلتهما ثم ذهبت كلٌّ منهما إلى سريرها.

الفصل العاشر

التجارب

كانت العطل قد بدأت مع قدوم فصل الصيف، وبذلك أصبحت لدى الفتيات إمكانية قضاء أيامه الطويلة بحرية والاستمتاع بالراحة والاستجمام. كانت ميج وجو قد قررتا أن تمضيا الوقت كما سيحلو لهما بتكاسل وراحة دون أن تفعلا شيئًا. أما بيث وإيمي فقد وجدتا بأن عليهما أيضًا أن تفعلا ما ستفعله ميج وجو، قالت بيث وإيمي لوالدتها:

"أمي، هل بإمكاننا أن نفعل ما ستفعله ميج وجو بأن نمضي الوقت باللعب والاستجمام ولو كان ذلك خلال فترة الصيف فقط؟"

وكانت والدتهما قد أجابت:

"بإمكانكما تجربة ذلك لمدة أسبوع؛ لكي تدركن فيما إذا كانت تلك الطريقة في العيش تناسبكما. أعتقد أنكما ستدركان بعد بضعة أيام فقط بأن العمل ليس أسوأ من اللعب والتسلية."

صاحت الفتيات: "لا، سوف يكون ذلك ممتعًا جدًّا."

ولم تكن كانت ميج في اليوم التالي قد خرجت من غرفتها قبل العاشرة صباحًا. لكنها لم تجد طعام الإفطار شهيًّا كما أن غرفة الطعام كانت في فوضى؛ لأن جو لم تكن قد قامت بأيِّ جهد لترتيبها، كما لم تكن بيث قد أزالت الغبار، وكانت إيمي قد تركت كتبها مبعثرة على المائدة، لم يكن في تلك الغرفة ما هو جميل ونظيف ما عدا الركن المخصص لوالدتهن.

كانت ميج قد جلست بعد ذلك وبدأت تحلم بالملابس الصيفية الجميلة التي ستشتريها، أما جو فكانت قد أمضت فترة الصباح إلى جانب النهر كما أمضت فترة ما بعد الظهيرة بالمطالعة. أما بيث فكانت قد لعبت بالدمى إلى أن تعبت

وذهبت لكي تعزف على البيانو وهي تشعر السرور؛ لأنه لن يكون عليها أن تغسل الأطباق. أما إيمي فكانت قد ارتدت ثوبها الأبيض الجميل وجلست في الحديقة لكي ترسم وهي تأمل أن يمر أحدهم ويلتفت إليها ويسأل عن تلك الفنانة الصغيرة، وكانت الفتيات عندما حان موعد تناول الشاي قد اتفقن بالرأي على أن يومهن كان ممتعًا للغاية.

لكن ذلك الاستمتاع كان مع مرور أيام الأسبوع قد بدأ يتضاءل، رغم أن والدتهن كانت تقوم بمساعدة الخادمة حنا في أمور البيت لكي تدع الأمور تسير بيسر. ولم تكن أيٌّ من الفتيات قد قامت بشيء بالشكل المناسب كما لم تكن أيٌّ منهن أيضًا قد تقبلت واعترفت بأنها تعبت من تلك التجربة ومن ذلك الفراغ.

وكانت كلٌّ منهن عندما حل يوم الجمعة قد شعرت بالارتياح لقرب انتهاء الأسبوع، لكن السيدة مارش وجدت بأن الدرس الذي لقّنتُه للفتيات لم يكن كافيًا.

فعندما استيقظت الفتيات صباح يوم السبت وجدن أن الإفطار لم يكن جاهزًا، كما لم يكن قد تم إشعال النار في الموقد، وبالإضافة إلى ذلك لم تكن السيدة مارش ولا مدبرة المنزل حنا في المنزل صاحت جو:

"ما الذي حدث بحق الله؟"

كما كانت ميج قد ركضت إلى الطابق العلوي لكي تتبين حقيقة الأمر لكنها عادت مسرعة، وقالت:

"والدتنا ليست مريضة والحمد لله، لكنها متعبة؛ لأنها بذلت الكثير من الجهد طوال الأسبوع الماضي كما أنها أعطت حنا إجازة. سوف تظل في غرفتها طوال اليوم، وتترك لنا العناية بأنفسنا."

قالت جو: "حسنًا، أنا أرحب بمثل هذه الفكرة."

وكانت شقيقاتها قد وافقن أيضًا وشعرن بأن العمل سوف يجعلهن يشعرن ببعض التغيير.

لكن ميج لم تكن قد أعدت وجبة الإفطار بالشكل المطلوب، وكانت جو قد حملت لوالدتها إفطارها إلى غرفة النوم الذي لم يكن ذلك سوى بعض الخبز المحترق.
كانت السيدة مارش قد ضحكت في سرّها وشكرت جو، لكنها كانت بعد مغادرة جو الغرفة قد تناولت طعام الإفطار الذي كانت قد أعدته بنفسها.
كانت ميج قد أسفت جدًّا لعدم نجاحها في إعداد الطعام، لكن جو قالت:
"لا بأس سوف أقوم بتحضير طعام الغداء، وبدور الخادمة. أما أنت يا سيدتي فلتتركي يديك ناعمتين ونظيفتين؛ لكي تستقبلي من قد يأتي لزيارتنا."
لكن جو كانت في الحقيقة أقل خبرة من ميج بأمور الطبخ؛ لذا كانت بعد وقت قصير قد أدركت صحة ومعنى ما كانت تقوله حنا بأن تدبير أمور المنزل ليس من الأمور السهلة.
كان هناك الكثير من المأكولات العادية في الخزانة، لكن جو كانت ترغب بإعداد وجبة عشاء خاصة ومُتميزة بمناسبة أول عشاء تعدُّه بنفسها. وبذلك كانت قد ذهبت إلى المتجر وعادت ببعض الأسماك المرتفعة الثمن وببعض الخضار والفاكهة، كما كانت قد وجهت الدعوة إلى لوري لتناول العشاء معهن.
قالت لها ميج: "أعتقد بأنه كان من الأفضل ألا توجهي الدعوة إلى لوري، أنت تعلمين بأن كل ما تُجيدين طهيه هو بعض الكعكات والحلويات، لكن بما أنك وجهت إليه الدعوة فسوف يكون عليك تدبر نفسك، ومع ذلك أرى أن من الأفضل أن تذهبي لسؤال والدتنا حول كيفية إعداد الطعام قبل أت تجرّبي طهي مثل تلك المأكولات التي ليس من السهل إعدادها."
كانت جو بالأحرى قد تضايقت من كلام شقيقاتها وقالت:
"أنا أجيد الطبخ بالطبع فلست مخبولة." ثم ذهبت إلى غرفة والدتها وكان كل ما قالته لها السيدة مارش:
"افعلي ما تشائين حبيبتي، ولاداعيَ لأن تقلقن عليّ فسوف أخرج اليوم لإيداع بعض الرسائل في البريد، ولزيارة بعض الأصدقاء."

كان ما قالته السيدة مارش قد جعل جو تشعر ببعض الخوف كما لو أن شيئًا ما قد حدث فلم يكن ذلك من طباع والدتها، حدثت نفسها:

"يبدو أن كل الأمور في هذا البيت تسير بشكل غير طبيعي."

وكانت عندما نزلت إلى الطابق السفلي قد وجدت بيث تبكي؛ لأن طائرها الصغير المدلّل كان قد مات، لأنها نسيت إطعامه، قالت بيث:

"أووه جو كيف كان بإمكاني أن أكون بمثل هذه القسوة؟"

قالت لها جو وهي تتوجه إلى المطبخ لكي تبدأ بإعداد الطعام:

"لا تحزني حبيبتي، سوف نقوم بدفنه بعد ظهر اليوم. سوف أعطيك علبة صغيرة جميلة؛ لكي تضعيه فيها."

كانت السيدة مارش قد خرجت من المنزل بعد أن ألقت نظرة لكي ترى ما تفعله الفتيات. وكان ذلك ما جعلهن تشعرن بقلة الحيلة وهن ترين والدتهن تغادر المنزل. لكن ما جعل الأمور تزداد تعقيدًا أن السيدة كروكر كانت قد جاءت لزيارتهن بعد بضع دقائق، وقالت: بأنها تود تناول العشاء معهن ما جعلهن تشعرن باليأس، ذلك لأن السيدة كروكر كانت ذات سلوك سيء وكانت من النوع الذي يراقب كل ما يحدث في بيوت الآخرين؛ لكي تتحدث عن ذلك وفي أي مكان تذهب إليه، لكنها كانت متقدمة بالسن وفقيرة الحال؛ لذا كان من المفترض أن يتصرفن تجاهها بكل تعاطف.

كانت ميج قد جلبت لها كرسيًّا مريحًا، وجلست تتحدث إليها بانتظار موعد العشاء، بينما كانت تلك الزائرة تطرح الأسئلة، وتتحدث عن الأشخاص الذين زارتهم.

كانت جو البائسة في ذلك الوقت قد بدأت تكتشف شيئًا فشيئًا أن عملية الطهي ليست سهلة، وبأنها كانت أيضًا أكثر صعوبة من الكثير من الأعمال الأخرى، وبذلك كانت إلى أن أصبحت الوجبة جاهزة بعد نصف ساعة قد بدت متعبة جدًّا، وقد شعرت بالأسف على نفسها، وهي تنظر إلى الأطباق غير الشهية التي أعدّتها والتي كانت تعتزم أن تجعل منها مائدة احتفالية بالنسبة إلى لوري. كانت

البطاطا غير مطهوة جيدًا ونصف محترقة، وكان الحساء لا يؤكل، وكانت الفاكهة غير ناضجة إلخ...

كانت جو البائسة تتمنى عندما يقوم أحدهم بتذوق أيِّ طبق من الأطباق أن تختفي عن الأنظار. كانت إيمي قد ضحكت كثيرًا وكانت ميج تبدو قلقة؛ لأن السيدة كروكر كانت قد زمّت شفتيها بازدراء، بينما كان لوري يتحدث ويروي النكات محاولًا إدخال بعض البهجة إلى ذلك الحفل. وبذلك شعرت جو بالارتياح عندما تم إزالة الأطباق وجلب أطباق الفاكهة التي كانت قد وضعت عليها كمية كبيرة من السكر وبعض الكريمة، كما كان كلٌّ من الحضور قد بدا سعيدًا عندما ملأ طبقه بالفاكهة وبالكريمة الغنية. لكن السيدة كروكر كانت عندما تذوقت الفاكهة قد أغمضت عينيها وزمّت شفتيها دون أن تقول شيئًا ما جعل جو تعتقد بأن ذلك لأن كمية الفاكهة ليست كافية للجميع. نظرت إلى لوري الذي كان يأكل بشجاعة مُطرقًا نظره بطبقه وإلى إيمي التي كانت قد أخذت كمية كبيرة، لكنها عندما تذوقتها كانت قد أخفت وجهها في منديلها وغادرت المائدة بسرعة.

سألت جو وهي ترتجف:

"ما الأمر؟" وأجابتها ميج: وهي تنظر إلى شقيقتها بأسى بأن الفاكهة لا تؤكل.

قالت جو:

"يا إلهي أنا آسفة جدًّا"، ثم جلست من جديد في كرسيها فقد تذكرت بأنها في اللحظة الأخيرة كانت قد سكبت المسحوق الأبيض على الفاكهة من أحد المرطبين ويبدو أنها استخدمت الملح بدلًا من السكر. كما أن الكريمة كانت من النوع الحامض المذاق كما أنها نسيت سكب الحليب عليها. كان وجه جو قد اصطبغ بحمرة قانية، وشعرت برغبة بالبكاء عندما شاهدت لوري ينظر إليها، لكن الأمر الطريف بالموضوع أنها كانت قد انفجرت فجأة بالضحك إلى أن سالت الدموع على خديها، وبذلك كان الجميع قد انفجروا بالضحك حتى السيدة كروكر، وبذلك كانت تلك الحفلة قد انتهت بتناول بعض الزبدة والخبز.

قالت جو: "بما أنه ليس بإمكاني أن أعيد الأمور إلى نصابها؛ لذا سوف نقوم الآن بدفن طير بيث، وكانت السيدة كروكر قد نهضت لكي تذهب؛ لأنها كانت متحمسة لسرد كل ما حصل لإحدى صديقاتها التي كانت بانتظارها في المنزل.

كان لوري قد دفن عصفور بيث في حفرة صغيرة في الحديقة بينما كانت بيث تبكي وهي تضع عليه الزهور. أما ميج فقد تولت إزالة آثار تلك الحفلة وكان لوري بعد ذلك قد اصطحب إيمي في نزهة في العربة.

عندما عادت السيدة مارش إلى المنزل وجدت بناتها الثلاث الأكبر سنًّا منهمكات بترتيب المطبخ، ولم يكن قد انتهين من ذلك إلى أن حلّ المساء، حينئذ كانت كلٌّ منهن قد جلست في الحديقة لكي تستنشق بعض الهواء العبق بأريج الزهور، ثم قالت جو وهي تتنهد: "كم كان يومنا بغيضًا!"

وقالت ميج: "كان يومنا أقصر من المعتاد لكنه كان يومًا متعبًا للغاية."

وقالت إيمي: "لم يكن منزلنا اليوم يُشبه منزلنا الاعتيادي على الإطلاق."

أما بيث فقالت بأسى: "لا يمكن أن يكون هذا منزلنا بدون والدتنا." ثم نظرت إلى قفص الطائر الخالي وقالت: "ولا بدون طائري الصغير العزيز..."

قالت جو لكي تواسيها: "ها هي والدتنا الغالية هنا كما أنك سوف تحصلين غدًا على طائر آخر."

كانت السيدة مارش قد جلست بينهن وأخذت تتحدث إليهن كما لو أن يوم عطلتها لم يكن ممتعًا كما كان بالنسبة إليهن. سألتهن:

"هل استمتعتن بأسبوع العطلة؟ وهل ترغبن بأسبوع آخر؟"

صاحت جو: " لا... لا لست أرغب في ذلك."

ثم رددت الفتيات جميعهن معًا: "لا... لسنا نرغب في أسبوع عطلة آخر."

قالت السيدة مارش: "أعتقد بأنكن الآن تُدركن بأن من الأفضل أن يكون لدى المرء بعض الواجبات، وألا يعيش المرء لنفسه فقط وإنما للآخرين أيضًا."

صاحت ميج: "أمي! هل كان خروجك من المنزل لكي ترين كيف سيكون بإمكاننا التصرف بمفردنا؟"

أجابت السيدة مارش: "نعم عزيزتي، أردتُ أن أجعلكن تُدركن كم يشعر المرء بالراحة عندما يؤدي ما عليه من واجبات. كنتن تتذمرْن أحيانًا، بينما كنت أنا وحنا نقوم بكل ما يلزم وبشكل جيّد جدًّا؛ لذا خطر ببالي أن أجعلكن تدركن ما الذي قد يحدث لو أن كل شخص منا قد اكتفى بالتفكير بنفسه."

وكانت الفتيات قد وافقن على ما قالته السيدة مارش، وبدأت كلٌّ منهن تخطط للعمل الذي ستساهم فيه في المستقبل؛ لكي يكون منزلهن كما قالت والدتهن المكان المريح والمحبب للجميع...

الفصل الحادي عشر

أحلام المستقبل

كان لوري طوال أشهر الشتاء قد أصبح من الأصدقاء المقربين جدًّا للعائلة. كانت الفتيات قد سمحن له بمشاركتهن ألعابهن وأوقاتهن الممتعة السعيدة بحيث أصبح تقريبًا فردًا من العائلة. وكان لوري سعيدًا بتلك الصداقة، وكان يومًا بعد يوم يثبت بأنه أهل لها. كان قد أعدّ علبة بريد وضعها بين المنزلين كان يتم بواسطتها تبادل الرسائل بين العائلتين، حتى أن السيد لورانس كان يجد التسلية بإرسال بعض الهدايا لعائلة مارش بواسطتها.

كان بعض أصدقاء لوري من فتيات وشبان يأتون لزيارته أثناء فصل الصيف وكان لوري يوجّه الدعوة دومًا للفتيات للانضمام لأصدقائه وفي جميع المناسبات والرحلات والنزهات، لكنه كان مع بداية الخريف قد عاد وحيدًا من جديد...

وذات يوم بينما كان لوري مستلقيًا على العشب في الحديقة، كان قد شاهد الشقيقات تستعدن للخروج في نزهة. فكّر: "ترى إلى أين سيذهبن؟" كانت كلٌّ منهم ترتدي قبعة كبيرة وتحمل حقيبة على ظهرها، وتحمل بيدها عصا طويلة غليظة. كان مع جو كتاب، وكانت مع ميج وسادة، وكانت بيث تحمل سلّة، وكانت إيمي تحمل معها أدوات الرسم، ثم توجهت الفتيات نحو الهضبة التي تقود إلى الغابة التي تقع في أعلاها.

حدّث لوري نفسه: "حسنًا ترى إلى أين سيذهبن؟ فقد مررن بالسياج ولم تتحدثن إليّ. سوف أتبعهن لأتبين ما الأمر. لكن الفتيات كن قد غبن عن ناظريه إلا أنه استطاع اللحاق بهن.

وجد لوري الفتيات جالسات معًا على العشب تحت شجرة كبيرة، وكان قد توارى خلف إحدى الشجيرات ووقف ينظر إليهن كما ينظر المرء إلى لوحة جميلة. كانت

ميج تحيك، وكانت جو تقرأ بصوت مرتفع، وكانت بيث تلعب بالدمى، أما إيمي فكانت ترسم. كان الفتى وهو يرقبهن قد شعر بأن تصرفه معيبًا، وبأن عليه أن يغادر المكان، لكنه بذات الوقت كان يشعر بالوحدة؛ لذا ظل واقفًا في مكانه إلى أن رفعت بيث نظرها وشاهدته وابتسمت، وبذلك قال:

"هل بإمكاني أن أنضم إليكن؟ أم أنني قد أتسبب لكن بالإزعاج؟"

قالت جو: "بإمكانك ذلك بالطبع. كان علينا أن ندعوك لمرافقتنا قبل المجيء لكننا اعتقدنا بأنك لن تحب ما تفعله الفتيات. أترى نحن عادة نلعب دور الرحّالة، وقد قررنا أن نخرج إلى الهواء الطلق، ومن قواعد اللعبة أن نسكب الماء في قبعاتنا، وأن نستخدم العصا للصعود إلى الهضبة."

قالت ميج: "حسنًا بما أن القواعد تتطلب ألا يظل أحدنا بدون عمل فسوف يكون عليك أن تأخذ الكتاب من جو لكي تقرأ بصوت مرتفع، بينما تقوم جو بحياكة جواربها."

أجاب لوري: "نعم، سوف أفعل كل ما تطلبينه مني سيدتي، لو سمحتن لي بالانضمام إليكن." لم تكن تلك القصة طويلة، وكان لوري بعد أن انتهى من القراءة قد جلس لبعض الوقت حيث تبادل الجميع الحديث حول الكثير من المواضيع. ثم بدأ كلٌّ منهم يتحدث عما يرغب أن يُحققه في المستقل قالت جو:

"ألن يكون من الرائع أن يتحقق كل ما نحلم به للمستقبل؟ فليقم كل منا بذكر ما يرغب تحقيقه في المستقبل، ماذا عنك لوري؟"

قال لوري: "هل ستعلمونني أنتن أيضًا بأمنياتكن لو أعلمتُكن بما أتمناه؟"

أجابت الفتيات: "نعم سوف تقول كل منا أيضًا ما تتمناه. والآن عليك أن تبدأ أنت لوري."

قال لوري: "حسنًا، ما أرغب به هو أن أجول العالم وأن أشاهد كل ما أرغب به. لكنني أتمنى أن يكون بإمكاني أيضًا بعد أن أكون قد شاهدت كل ما أرغب به أن أعيش في الريف، وأن أصبح من أشهر الموسيقيين. لم أكن يومًا أهتم بالمال أو

بالأعمال، وكل ما أرغب به هو الاستمتاع بالحياة. هذا هو حلمي، ولكن ماذا عنك ميج ؟"

فكرت ميج للحظة، ثم قالت: "أما أنا فأرغب بأن يكون لدي بيتًا جميلًا، وأن أرتدي الملابس الفاخرة، وأن أكون بصحبة الأشخاص الجيدين. أنا أرغب بأن أكون سيدة منزل، ويأن يكون لديّ الكثير من المال، والعديد من الخدم لكي لا أضطر للعمل على الإطلاق. سوف أستمتع بذلك لكنني بذات الوقت سوف أكون طيبة رقيقة لكي يحبني الجميع."

ضحك لوري وسألها: "ألن يكون برفقتك سيّد في ذلك المنزل؟"

أجابت ميج، وقد أخفضت رأسها لكي لا يشاهد أحد وجهها الذي اصطبغ بالحمرة:

"قلت بأنني أرغب بأن أكون بصحبة الأشخاص الجيدين."

قالت جو: "لم لا تقولين بصراحة بأنك ترغبين الزواج بشخص رائع وبأن يكون لديك أطفال صغار، أنت تعلمين بأن المنزل الذي تحلمين به لن يتحقق بدون الزوج؟"

أجابتها ميج: "أما أنت فكل ما ترغبين به هو الحصان والورق والأقلام والحبر."

أجابت جو: "نعم، هذا صحيح تمامًا سوف يكون لديّ الكثير من الأحصنة العربية، سوف أحقق الشهرة، وسوف يكون لديّ العديد من الكتب، وسوف أكتب بقلم سحري، بحيث أصبح كاتبة ذات شهرة، تمامًا كما يرغب لوري بأن يكون من الموسيقيين ذوي الشهرة. أريد أن أقوم بعمل رائع لكي لا ينساني أحد عندما أموت. لست أدري كيف ستجري الأمور لكنني سوف أدهشكم ذات يوم. أعتقد بأنني سوف أصبح ثرية وذات شهرة هذا هو حلمي المفضل..."

قالت بيث برضى: "أما حلمي فهو أن أعيش مع أمي وأبي، وأن أتولى رعايتهما."

سألها لوري: "ألا ترغبين بتحقيق أي شيء آخر."

أجابت بيث: "أنا أشعر بالرضى والسرور طالما كان لديّ هذا البيانو، وكل ما أتمناه هو بأن نكون دومًا معًا وبوضع جيد. لست أرغب بأكثر من ذلك."

أما إيمي فقالت: "أما أنا فلديّ الكثير من الأمنيات، لكن حلمي الأول هو بأن أصبح فنانة وأن أذهب إلى مدينة روما؛ كي أرسم اللوحات الشهيرة هناك، نعم أنا أرغب بأن أصبح أفضل فنانة في العالم."

قال لوري: "الحقيقة أننا جميعًا نرغب بالكثير ما عدا بيث. جميعنا يرغب الحصول على الثروة والشهرة وأتساءل فيما إذا كان أيٌّ منا سوف يتوصل إلى تحقيق أحلامه."

قالت جو التي كانت على استعداد دائم لوضع الخطط:

"حسنًا لو بقينا جميعًا على قيد الحياة، فلنجتمع بعد عشر سنوات؛ لكي نرى كم كان كلٌّ منا قد حقق من هذه الأحلام."

قالت ميج: "لكننا سوف نكون قد تقدمنا بالسن حينذاك. سوف أكون في السابعة والعشرين."

قالت جو: "وسوف أكون أنا في السادسة والعشرين، وتكون بيث وكذلك لوري في الثالثة والعشرين، أما إيمي فسوف تكون في الثانية والعشرين. كم سنكون بالفعل قد تقدمنا جميعاً بالسن!..."

قال لوري:"آمل أن أكون قد حققت في ذلك الوقت ما يجعلني أشعر بالفخر، لكنني في الحقيقة كسول بعض الشيء."

قالت جو: "والدتي ترى بأنك بحاجة إلى القيام بعمل ما، وبأنك عندما ستختاره فلابد أنك ستؤديه بشكل رائع."

سألها لوري: "هل تعتقد السيدة مارش ذلك بالفعل؟ يسعدني ذلك. سوف أعمل على تحقيق ذلك لو أتيحت لي الفرصة. سوف أحاول أن أرضي جدي، لكن جدي يرغب بأن أصبح مثله من كبار التجار، وأنا أكره كل تلك السفن القديمة التي يستوردها، كما أنني لا أهتم كيف سأمتلكها وإن كانت ستغرق بسرعة، لكن علي أن أنفذ رغبة ذلك الجد العجوز الطيب ما لم أغادر البلدة كما فعل والدي. في الحقيقة لو كان هناك من سيعيش مع جدي لكنت سأهرب منذ الغد."

قالت جو: "أنصحك بأن تُبحر على إحدى تلك السفن وألا تعود إلى أن تكون قد حققت ذاتك."

قالت ميج: "هذا ليس عدلًا جو. عليك ألا تُزودي لوري بمثل هذه النصيحة السيئة."

لكن الحديث كان توقف عندما سمع صوت الجرس إيذانًا بأن على الجميع العودة بسرعة لتناول العشاء.

سألهن لوري وهنّ يسرعن بالعودة إلى المنزل: "هل سيكون بإمكاني الانضمام إليكن من جديد؟"

ابتسمت ميج وأجابت: "نعم. هذا لو كنت ستتصرف بشكل جيد وتؤدي واجباتك اليومية كما ورد في كتاب الرحالة."

أجاب لوري: "سوف أحاول."

ضحكت جو وقالت وهي تلوح بيدها: "إذن سيكون بإمكانك المجيء، وسوف أعلمك كيف ستحيك الجوارب فالجميع بحاجة إليها حاليًا." ثم توجه كلٌّ منهم إلى منزله.

الفصل الثاني عشر

أسرار

عندما حلّ فصل الشتاء كانت ساعات النهار قد بدأت تصبح أقصر وأكثر برودة. كانت جو ذات يوم منشغلة في غرفتها التي تقع في الأعلى بكتابة إحدى القصص، وكانت عندما أوشكت على الانتهاء من الكتابة وبعد أن أنهت كتابة الصفحات الأخيرة قد رَمَت بقلمها جانبًا بعد أن وقعت عليها باسمها وقالت:

"لقد بذلت كل ما بوسعي، فإن لم تكن صالحة للنشر، فسوف يكون عليّ أن أنتظر إلى أن يكون بإمكاني أن أكتب بشكل أفضل."

وكانت قد أعادت قراءة تلك القصة القصيرة بعناية، وأجرت عليها بعض التصحيحات هنا وهناك، وبوضع بعض الفواصل بين الجمل، ثم قامت بربطها بشريط وجلست تنظر إليها بصمت، ثم أخرجت من الدرج قصة أخرى كانت قد أنهت كتابتها، ووضعت القصتين في جيبها وتوجهت بسرعة إلى الطابق السفلي، وكانت بعد أن ارتدت معطفها وقبعتها قد خرجت بسرعة، واستقلّت إحدى وسائط النقل وتوجّهت نحو المدينة، وهي تبدو مبتهجة وغامضة كما لو أنّ لديها سرًّا تُخفيه.

بعد أن ترجّلت جو من الحافلة، توجّهت نحو مبنى ضخم، لكنها كانت بعد أن نظرت إلى السلالم القذرة قد وقفت لبعض الوقت، ثم عادت أدراجها من حيث أتت... وبعد أن قامت بتلك الخطوة لمرتين وثلاث كانت قد عقدت العزم وصعدت السلالم وهي في حالة من القلق كما لو أنها على وشك أن تخلع جميع أسنانها دفعة واحدة، ثم كانت جو بعد مرور عشر دقائق قد نزلت السلالم بسرعة، وهي تبدو أشبه بشخص كان قد تجاوز وقتًا عصيبًا.

لكنها فوجئت برؤية لوري بانتظارها أمام باب المبنى. كان لوري جالسًا أمام نافذة المبنى المقابل وهذا ما جعله يشاهد جو تدخل إليه ويحدث نفسه:

"لست أعجب من أن تكون جو قد جاءت إلى عيادة طبيب الأسنان بمفردها ففي هذا ما يُشبه طباعها، لكنها ولابد تعاني من الألم؛ لذا فسوف تحتاج لمن يساعدها."

لكن جو عندما شاهدت لوري كانت قد بدت مبتهجة، وكانت قد مرت به بعد أن أومأت له برأسها دون أن تتحدث معه، لكن لوري كان قد تبعها، وسألها بتعاطف:

"هل عانيت كثيرًا لدى طبيب الأسنان؟"

أجابت جو: "ليس كثيرًا."

قال لوري: "يبدو أن علاجك لم يأخذ الكثير من الوقت."

وأجابت جو: "نعم، شكرًا لله."

سألها من جديد: "ولكن لم ذهبت إليه بمفردك؟"

قالت جو: "لم أرغب باطلاع أحد على ذلك."

قال لوري: "أنت أغرب إنسانة عرفتها حتى الآن. كم كان عدد ما خلعتِه من أسنان؟"

نظرت جو إلى صديقها كما لو أنها لم تكن قد فهمت ما قاله، وقالت:

"لديّ اثنتين أريد إخراجهما، لكن عليّ الانتظار لمدة أسبوع." ثم بدأت تضحك.

قال لوري: "ما الذي يجعلك تضحكين هل تخططين لدعابة ما؟"

قالت جو: "حسنًا لديّ سرّ، فلو وعدتني بعدم إفشائه فسوف أطلعك عليه."

قال لوري: "أعدك بألا افشي كلمة واحدة، لكن ما الموضوع؟"

أجابت جو: "قمت الآن بتسليم اثنتين من القصص التي كتبها إلى مدير الصحيفة، وسوف يُعلمني الأسبوع القادم فيما إذا كانتا صالحتين للنشر."

هتف لوري ببهجة: "تهانيّ! تهانيّ! آنسة مارش الكاتبة المشهورة."

قالت جو: "ربما لن تتم الموافقة على نشرهما، ولن يكون بإمكاني أن أشعر بالراحة ما لم أكن قد حاولت ذلك، لم أعلم أحدًا بالأمر؛ لأنني لا أرغب بأن يشعر أحد بالأسف إن لم يتم نشر قصتي تلك.

قال لوري بحماس: "لن تفشلي جو. لابد أن ما كتبتِه أفضل بكثير من الأمور التافهة التي يتم نشرها حاليًا. سوف يكون من الرائع أن يتم نشرها وعلينا أن نفخر بكاتبتنا."

لمعت عينا جو وقالت: "من الممتع بالفعل أن يثق الآخرون بالمرء."

ثم قال لوري: "ما رأيك بأن نتسابق للوصول إلى الهضبة؟"

وبما أنه لم يكن هناك أحد في الشارع كانت جو قد وافقت وبدأ الاثنان يركضان. كان لوري قد وصل إلى القمة أولًا، وعندما لحقت به جو كان شعرها الكثيف يتطاير وكانت عيناها تلمعان، وقد اصطبغ خداها بلون قرمزي؛ لأنها كانت في غاية السعادة.

وكانت شقيقات جو قد استغربن جدًّا تصرفات جو خلال ذلك الأسبوع. كانت تُسرع إلى الباب عندما يطرقه ساعي البريد، وكانت بشكل عام تبدو غريبة الأطوار.

وبعد ظهيرة أحد الأيام كانت جو قد دخلت الغرفة التي كانت تجلس فيها عادة ميج وبيث وإيمي وجلست وبدأت تقرأ في صحيفة كانت تحملها بين يديها. سألتها ميج:

"هل هناك ما يثير الاهتمام؟"

أجابت جو: "لا شيء، إنها فقط إحدى القصص."

قالت إيمي: "لم لا تقرئينها لنا؟"

وقالت بيث: "ما هو عنوان هذه القصة؟"

أجابت جو: "عنوان هذه القصة (الرسامين المتنافسين)."

قالت ميج من جديد: "يبدو العنوان مُثيرًا للاهتمام فلتقرئيها لنا."

وكانت جو قد بدأت بسرعة تقرأ القصة بينما كانت الفتيات يُصغين إليها بكل اهتمام. كانت القصة مؤثرة جدًّا؛ لأن غالبية أبطالها كانوا قد توفوا قبل الخاتمة.

سألت بيث بعد ذلك: "من الذي كتب هذه القصة؟"

وكانت بيث قد كانت قد شاهدت نظرة غريبة على وجه شقيقتها ما جعل جو ترمي الصحيفة، وتنظر إلى شقيقاتها بإجلال وتقول:

"كاتبة هذه القصة هي شقيقتكن!..."

كانت ميج قد رمت الثوب الذي كانت تُحيكه وصاحت: "هل أنت من كتبت هذه القصة؟"

وقالت إيمي: "إنها قصة جميلة جدًّا."

أما بيث فكانت قد أسرعت لعناق شقيقتها وهي تقول:

"كنت أعلم ذلك... كنت أعلم ذلك... كم أنا فخورة بك!"

كم كانت البهجة قد غمرت الجميع! لم تكن ميج قد صدقت ذلك إلى أن قرأت لنفسها الكلمات التي ذيلت القصة في الصحيفة اليومية (الآنسة جوزفين مارش)، أما حنا فلم تكن عندما علمت بالنبأ قد صدقت بأن تكون جو من كتبت تلك القصة وقالت:

"كم ستكون السيدة مارش سعيدة بذلك!"

ثم بدأت كلٌّ منهن تُمطرها بالأسئلة: "اروي لنا كل شيء عن الموضوع. كيف قمت بذلك وما هو المبلغ الذي حصلت عليه لقاء نشر القصة؟ تُرى ما الذي سيقوله والدنا عندما سيعلم بهذا النبأ السعيد؟"

قالت جو: "حسنًا... حسنًا... توقفوا جميعكن عن كل هذه الأسئلة، سوف أروي لكن كل التفاصيل. أنا حاليًّا في عاية السعادة، وقد يصبح بإمكاني في المستقبل أن أكسب عيشي، وأن أتولى مساعدة الآخرين."

وهكذا كانت جو قد حققت أقصى ما كانت تتمناه وهو ذلك الشعور الجميل بالاستقلالية والحصول على المديح ممن هم أغلى من لديها، كما كانت بذلك قد خَطَت أول خطوة نحو النهاية السعيدة...

الفصل الثالث عشر

البرقية

كان ذلك بعد ظهيرة أحد الأيام الكئيبة من شهر (تشرين الثاني/نوفمبر) كانت الفتيات جالسات يتبادلن الأحاديث وكانت بيث التي تنظر من النافذة قد التفتت إليهن وقالت:

"حسنًا يا شقيقاتي العزيزات، حتى لو كان هذا الطقس كئيبًا فسوف يحدث الآن على ما يبدو أمران ممتعان: فها هي والدتنا قادمة، كما أنني أشاهد لوري متوجّهًا بسرعة إلى منزلنا عبر الحديقة كما لو أن لديه ما سيعلمنا به. كان الاثنان قد دخلا معًا، السيدة مارش التي وجّهت إلى الفتيات على الفور السؤال التقليدي:

"هل هناك أية رسائل من والدكن ؟"

وكان لوري قد وجّه إليهن الدعوة لمرافقته في نزهة، وقال بأنه سوف يقوم بذات الوقت باصطحاب السيد بروك إلى منزله. وكانت ميج قد أبدت عدم رغبتها بالذهاب؛ لانشغالها، لكن الأخريات كنَّ قد تحمسن للفكرة وقلن بأنهن سيصبحن على استعداد خلال دقائق.

ثم سأل لوري السيدة مارش فيما إذا كانت بحاجة لشيء ما من المدينة.

وكانت قد أجابته: "شكرًا ليباركك الله يابني، لست بحاجة لشيء ما عدا أن تمر بمكتب البريد؛ لكي تسأل عن أية رسائل قد تكون قد وصلتنا من زوجي؛ لأن رسائله تكون عادة منتظمة لكنني لم أتلقَ منه أية رسالة، فربما كان هناك بعض التأخير في البريد."

ثم سُمع من يطرق الباب بقوة ودخلت وهي تصيح: "وصلتك برقية يا سيدتي."

تناولت السيدة مارش المغلف بسرعة، لكنها عندما قرأت ما تحتويه كان وجهها

قد شحب، ثم انهارت وسقطت على أحد المقاعد، أسرع لوري بإحضار كأس من الماء بينما قامت ميج وحنا بوضع بعض الوسائد خلف رأسها. وتناولت جو قد البرقية وقرأتها بصوت مرتفع، وهي ترتجف كانت البرقية تتضمن ما يلي:

"السيدة مارش،

زوجك مريض جدًّا. عليك القدوم على الفور إلى مشفى واشنطن."

كم كان كل شيء قد تغيّر فجأة بالنسبة لتلك العائلة! اجتمعت الفتيات حول والدتهن، وكأن ريحًا كانت قد هبّت فجأة على حياتهن العائلية وعصفت بكل ما كن ينعمن به من سعادة...

كانت السيدة مارش بعد وقت قصير قد استطاعت أن تتمالك نفسها، وأن تقرأ البرقية من جديد، ثم التفتت إلى بناتها وقالت:

"سوف أذهب إليه على الفور لكن أتمنى ألا يكون الوقت قد فات..."

كانت حنا أول من تمالكت نفسها، ولكي تمنح لها وللفتيات الشجاعة قالت :

"سيدة مارش، أرجو أن يحفظ الله ـ تعالى ـ هذا الرجل الطيب، سوف أقوم على الفور بتحضير ما يلزمك لتلك الرحلة."

كانت السيدة مارش بعد أن جففت دموعها قد قالت:

"حنا على حق. لا وقت للدموع والبكاء. علينا أن نهدأ الآن ويجب أن أخطط للأمر."

ثم سألت: "أين لوري؟"

أجابها الشاب: "أنا هنا سيدتي. دعيني أقوم بأيِّ شيء لمساعدتك."

قالت السيدة مارش: "أرجو أن ترسل برقية جوابية تقول فيها بأنني سوف أحضر على الفور. عليك أيضًا أن تعطي هذه الرسالة أيضًا للعمة مارش. جو أعطني الورق والقلم؛ لكي أكتب إليها بضع كلمات لأعلمها بما حدث."

كانت جو تعلم جيدًا بأن والدتها كانت بحاجة إلى اقتراض بعض المال من العمة مارش لتغطية تكاليف الرحلة. جلست تفكر لبعض الوقت بما بإمكانها أن تفعله كي تحصل على مبلغ إضافي تشتري به بعض الأشياء المفيدة لوالدها الغالي.

وكانت السيدة مارش قد قالت:

"لست أشعر بالفخر بأن أستجدي لأجل والدكن، لكن عليّ أن أجعله يحصل على أفضل ما يمكن وأن أساعده على الشفاء." ثم طلبت من بيث أن تذهب إلى السيد لورانس لجلب بعض العصائر.

كان السيد لورانس عندما علم بالأمر قد أسرع بالمجيء برفقة بيث، وكان ذلك الرجل الطيب قد عرض على السيدة مارش بأن يتولى رعاية الفتيات خلال فترة غياب والدتهن، كما عرض عليها أن يقوم بإعداد ما يلزم لسفرها إلى واشنطن لكن السيدة مارش شكرته لكنها لم تقبل ذلك.

بعد مغادرة السيد لورانس كان زائر آخر قد طرق الباب وكانت ميج عندما فتحت الباب قد شاهدت أمامها السيد بروك الذي قال:

"أنا فجزيلًا لآسف آنستي لِما سمعته عن مرض السيد مارش؛ لذا جئت كي أعرض عليكم أن أرافق والدتكم البائسة بنفسي إلى واشنطن. عليّ أن أذهب إلى واشنطن بمهمة لصالح السيد لورانس، وسيسعدني بالفعل أن أقدم إليها ما قد تحتاجه من مساعدة هناك أيضًا."

قالت ميج: "كم أنت طيب سيدي! أنا متأكدة بأن والدتي ستتقبل هذا العرض بكل سرور. سوف يكون لديها بذلك من يساعدها ويرعاها. شكرًا جزيلًا... شكرًا جزيلًا لك."

كان لوري قد عاد بعد قليل يحمل الرسالة الجوابية من السيدة مارش العمة، وبداخلها المبلغ الذي طلبته السيدة مارش، مع بضع كلمات قالت فيها بأنها كانت تعلم بأنه كان من الخبل أن يذهب ابن شقيقها لمساعدة الجنود أثناء الحرب، وبأنها تأمل أن يُصغي إلى نصائحها في المستقبل، وكانت السيدة مارش قد رَمَت الرسالة في الموقد، ووضعت الأوراق النقدية في حقيبتها، وبدأت تستعد للسفر.

عندما حلّ المساء كان كلُّ شيء قد أصبح جاهزًا لرحلتها. لكن جو التي كانت قد ذهبت لتسليم رسالة ما لبعض الأصدقاء تأخرت في العودة؛ لذا طلبت والدتها من لوري الذهاب للبحث عنها، لكن لوري لم يكن قد عثر عليها لدى أولئك الأصدقاء.

كانت جو قد عادت بعد قليل وهي تبدو غريبة الأطوار، وكان أسلوبها في التصرف قد جعل الجميع يستغربون وضعها هذا عدا عن المبلغ الكبير الذي كانت قد وضعته أمام والدتها وهي تقول بحياء:

" أمي! هذه هي حصتي لمحاولة جلب الراحة والسعادة لوالدي ولكي يعود إلينا وإلى منزله وهو بأحسن صحة."

سألتها والدتها باستغراب وقلق:

"لكن من أين حصلت على هذا المبلغ الكبير عزيزتي؟ خمسة وعشرين دولارًا؟ جو! أتمنى ألا تكوني قد ارتكبت حماقة ما."

أجابت جو: "لا... لا... أمي هذا مالي، لم أتسوّل، ولم أرتكب أية حماقة أو عملًا طائشًا. أعتقد أنك لن تلوميني لشعورك فقد قمت ببيع شيء يخصني."

وكانت جو وهي تتحدث قد خلعت قبعتها ما جعل الجميع يهتفون بصوت واحد:

"أووه... أووه... ما الذي فعلته يا جو؟" كانت قد قصت شعرها الجميل الكثيف...

قالت والدتها: "هل بعت شعرك يا جو؟ هل بعت شعرك الجميل؟ كيف كان بإمكانك أن تفعلي ذلك؟ كان شعرك أجمل ما فيك، أنت الآن لا تبدين جو . كنت أحب شعرك كثيرًا."

قالت جو: "من فضلكم لا داعيَ للأسف! فعلى الرغم من أنني كنت بالفعل فخورة دومًا بشعري الجميل، لكن ما فعلته سيجعلني أتوقف عن التفاخر به، وأنا مسرورة بما فعلت؛ لذا أرجوك يا أمي أن تأخذي المال."

قالت السيدة مارش: "لست راضية تمامًا عما فعلت جو، لكن ليس يعني ذلك ألا أحبك أكثر وأكثر وأن أقدر لك هذه التضحية، لكن ما أخشاه أن تندمي على ما فعلته ذات يوم."

أجابت جو: "لا لن أندم، رغم أنني احتجت للكثير من الشجاعة كي أفعل ذلك."

لأن الشعر القصير لم يكن في ذلك الوقت مستحبًا بالنسبة للسيدات.

سألتها إيمي التي كانت أيضًا على استعداد لأن تقدم أي شيء لأجل والدها:

"ما الذي جعلك تفعلين ذلك؟"

أجابت جو: "حسنًا أن أفعل شيئًا لأجل والدي، كما أنني أكره أن تضطر والدتنا للاقتراض من العمة مارش، كانت ميج قد سددت بكل ما لديها من مدخرات إيجار منزلنا بينما قمت أنا بشراء بعض الملابس ما جعلني أشعر بأنني كنت أنانية."

نظرت إليها السيدة مارش بحنان وقالت:

"لا داعيَ لشعورك بأنك كنت أنانية؛ لأنك كنت بالفعل بأمسّ الحاجة إلى بعض الملابس الشتوية، كما أن ما اشتريته من ملابس لم يكن باهظ الثمن."

لم تكن أيٌّ منهن قد رغبت أن تأوي إلى فراشها إلى أن قالت السيدة مارش:

"أصبح كل شيء جاهزًا لسفري؛ لذا دعونا نذهب للنوم؛ لأن علينا الاستيقاظ باكرًا."

كانت بيث وإيمي قد خلدتا للنوم بعد قليل، بينما ظلّت ميج مستيقظة تُراودها الكثير الهواجس حول وضع والدها.

كما كانت جو قد ظلّت مستلقية في فراشها دون حراك ما جعل ميج تعتقد بأنها نائمة إلى أن سمعت صوت نشيج مكتوم سألتها بلهفة:

"جو حبيبتي! هل يجعلك قلقك على والدنا تبكين بمثل هذه الحرقة؟"

أجابت جو: "لا ليس هذا فقط ما يجعلني أبكي الآن."

قالت ميج: "ما هو سبب بكائك إذن؟"

أجابت جو: "لا تسخري مني، أنا آسفة على شعري."

كانت ميج فد قبلت شقيقتها بحرارة وقالت:

"ليس في ذلك ما يجعلني أسخر منك، فلم يكن ما فعلتِه سهلًا."

قالت جو: "لا... لستُ آسف لذلك. وسوف أفعل ذلك من جديد لو احتاج الأمر. أرجو ألا تُعلمي والدتنا بذلك، ها قد بدأت أشعر بأنني أفضل."

وكانت الشقيقتان قد استغرقتا بالنوم، بينما كانت والدتهن إلى أن أعلنت الساعة الثانية عشرة تطوف من سرير لآخر؛ لكي تقبل بناتها وتباركهن بدعوات الأم المُحبة، وكانت عندما نظرت من النافذة إلى السماء قد شاهدت القمر في العلو وكأن هناك من يقول لها لا تقلقي فهناك دومًا شعاع من الضوء بين الغيوم الكثيفة.

الفصل الرابع عشر

الرسائل

كان كلُّ شيء يبدو غريبًا صباح اليوم التالي. كانت الفتيات قد توجّهن في ساعة مبكرة إلى غرفة الطعام، كما كانت السيدة مارش قد استيقظت في وقت أبكر وهي على أتم الاستعداد للرحلة. لم تكن أيٌّ منهن قد تحدثت كثيرًا؛ لأن كلًّا منهن كانت تشعر بالكثير من الحزن.

عندما جلسن بانتظار قدوم العربة التي ستقلّ والدتهن قالت السيدة مارش:

"بناتي العزيزات، سوف أترككن تحت رعاية حنا وبحماية السيد لورانس؛ لذا لست أخشى عليكن. لا داعِيَ لشعوركن بالحزن. عليكن الاستمرار بأداء أعمالكن اليومية كالمعتاد. تحصنوا بالإيمان وبالأمل، وليكن انشغالكن بأعمالكن ما يعزّيكن؛ لأن الإيمان والأمل هما وحدهما ما يُعزي المرء عندما يتعرض المرء للمشكلات."

أجابت الفتيات: "سوف نفعل كل ما بوسعنا أمي، نحن نعدك بذلك."

كان لوري وجده السيد لورانس قد رافقا السيدة مارش التي كانت تبدو متماسكة عندما صعدت إلى العربة مما جعل الفتيات يشعرن ببعض الأمل.

كانت بعد أن قبّلت كلًّا منهن قد قالت:

"وداعًا يا أحبائي، ليباركُّن الله، وليحفظنا جميعًا."

ثم لوّحت بيدها إليهن، وانطلقت العربة، بينما ظلّت الفتيات والسيد لورانس ولوري والخادمة حنا واقفين أمام البوابة إلى أن غابت العربة عن الأنظار.

قالت ميج بأسى: "يبدو وكأن نصف ما لدينا من آمال قد ذهب أدراج الرياح."

ثم غادر السيد لورانس ولوري إلى منزلهما وتركا الفتيات؛ كي يأخذن قسطًا من الراحة. وكانت كلٌّ من الفتيات قد بدأت تبكي، قالت حنا:

"عليكن الآن أن تتذكرن وعدكن لوالدتكن. أعددتُ لكن وجبة الإفطار، عليكن الآن تناولها لكي تتوجّهن إلى أعمالكن."

وبذلك عملت الفتيات بنصيحة حنا، وتوجّهت كلٌّ منهن إلى عملها. عندما بدأت تصل بعض الرسائل من والدتهن بدأت الفتيات تشعرن ببعض العزاء؛ لأن وجود السيدة مارش إلى جانبه قد جعل صحته تبدأ بالتحسن، كما كانت الرسائل التي يتلقاها السيد والسيدة مارش يجعلهما يشعران بالاطمئنان بأن الفتيات بخير، وكان السيد لورانس قد أرسل إليهما أيضًا رسالة في غاية اللطف قال فيها ما يلي:

"سيدتي العزيزة!

الفتيات جميعهن بخير، كما أن حنا مديرة منزل ممتازة، فهي تبذل كل ما بوسعها لرعايتهن، رجاءً عدم التردد بالاستعانة بالسيد بروك لتأمين ما قد يحتاجه زوجك، وعدم التردد بطلب أيِّ مبلغ تحتاجانه. أرجو ألا تدعي زوجك يحتاج لأي شيء يساعده على سرعة الشفاء، وشكرًا لله على أنه قد بدأ يتعافى.

صديقكم وخادمكم المخلص.

جيمس لورانس"

لكن الفتيات بعد أن بدأن يشعرن بالاطمئنان والسكينة، وعندما بدأت الأنباء تصلهن من والدتهن عن تحسن صحة والدهن، كنّ قد بدأن يتصرفن من جديد ببعض الأنانية، ما عدا بيث التي كانت تؤدي كل ما عليها من واجبات يومية، وكانت بالإضافة إلى ذلك تؤدي أيضًا العديد مما على شقيقاتها من واجبات؛ لأنهن بدأن يتقاعسن في كثير من الأحيان عن أداء ما عليهن من التزامات ومن واجبات... وعلى الرغم من أن كلَّ من حولها كن يشعرن بمقدار ما تتميّز به من رقة إحساس وبما لديها من عطاء غير محدود، ورغم أنهن لم تقصدن التصرف بأنانية تجاهها، لكن الخطأ الذي ارتكبنه كان إهمالهن القيام بما عليهن من التزامات وواجبات يومية وإلقائها بالتالي على كاهل بيث...

الفصل الخامس عشر

الصغيرة المتفانية

كانت بيث بعد مرور عشرة أيام على سفر السيدة مارش قد قالت لميج:

"كانت والدتنا قد طلبت منا عدم نسيان تلك العائلة الفقيرة والاستمرار برعايتها أثناء غيابها. كنت أفعل ذلك يوميًّا لكنني أرى بأن عليك أنت وحنا الذهاب إليهم؛ لأن الطفل الوليد مريض ولست أدري ما الذي عليّ أن أفعله لأجله."

كانت بيث تتحدث بجدية؛ لذا وعدتها ميج بالذهاب لزيارة تلك العائلة في اليوم التالي.

كما قالت جو لبيث: "اطلبي من حنا إعداد بعض المأكولات؛ لكي تأخذيها إليهم اليوم وقد أرافقك أنا أيضًا فيبدو أن الطقس سيتحسن، لكن عليّ قبل ذلك أن أنهي ما عليّ من كتابة."

كانت بيث تشعر بالفعل بالكثير من الإرهاق، لكنها كانت مع ذلك بعد أن أخذت قسطًا قصيرًا من الراحة، كانت قد أعدت سلّة تحتوي على بعض المأكولات وبعض الملابس؛ لكي تحملها إلى تلك العائلة الفقيرة، وكانت قد خرجت في ذلك الطقس البارد وهي تحمل تلك الأشياء الثقيلة الوزن.

لم تكن بيث قد عادت إلى المنزل إلا بعد تأخر الوقت، وبذلك لم تكن أيٌّ من شقيقاتها قد شاهدتها وهي تدخل وتتوجه على الفور إلى غرفة السيدة مارش في الطابق العلوي، إلى أن كانت جو بعد نصف ساعة قد عثرت عليها هناك. كانت تبدو بعينين حمراوين وكأنها ذرفت الكثير من الدموع...

سألتها جو بلهفة: "ما الأمر حبيبتي؟"

أجابت بيث: "نعم، اقتربي مني جو، أعلميني فقط هل كنتِ قد أصبتِ بالحصبة؟"

أجابت جو: "نعم، ولكن ذلك كان منذ أعوام عديدة. كنتُ قد أصبتُ. أصيبتْ ميج بالحصبة، ولكن لم هذا السؤال عن الحصبة الآن؟"

أجابت بيث وهي تبكي بحرقة: "توفي اليوم ذلك الطفل الصغير بين ذراعيّ قبل أن تكون والدته قد عادت من عملها. كان مصابًا بالحصبة. هذا ما قاله الطبيب، وقد طلب مني أن أعود على الفور إلى المنزل قبل أن تنتقل العدوى إليّ. أووه جو... كان ذلك محزنا للغاية."

كانت جو قد جلست على مقعد والدتها الكبير وأخذت بيث بين ذراعيها وقالت:

"لا تخافي بيث لن تصابي بالحصبة، ولو حدث وأُصبتِ بها فلن يكون بإمكاني مطلقًا أن أسامح نفسي. كان عليّ أن أذهب بنفسي إلى تلك العائلة الفقيرة، ولكن ما الذي علينا أن نفعله الآن لأجلك؟"

قالت بيث وقد وضعت يدها على رأسها وهي تحاول أن تبدو بوضع جيد:

"لا تخافي جو. لا أعتقد بأنني أصبت بالحصبة بشكل سيء، كنت للتو قد بحثت في الكتاب الطبي لوالدتنا، وعلمت بأن الحصبة تبتدئ بالكثير من الألم، كما أنني تناولت الدواء الذي وصفه لي الطبيب وقد بدأت أشعر ببعض التحسن."

قالت جو: "ليت والدتنا كانت هنا على الأقل. سوف أستعين بحنا فهي على اطلاع على كل ما يتعلق بهذا المرض."

وكانت حنا الطيبة القلب عندما فحصت بيث، وبعد أن وجّهت إليها العديد من الأسئلة المتعلقة بأعراض المرض، قد بدأت تتخذ ما يلزم من إجراءات للعناية بها، كما قالت لها بأنه لاداعيَ للقلق؛ لأن أكثر الأشخاص يصابون بالحصبة، وبأنها لو عولجت بشكل جيد فسوف تشفى بسرعة فلا أحد يموت من مثل هذا المرض. لكنها قالت:

"سوف أعلمكن الآن بما علينا أن نفعله. علينا أولًا أن نستدعي الطبيب لكي يقوم بما يلزم، كما علينا أن نرسل إيمي إلى منزل العمة مارش لكي لا تنتقل العدوى إليها. وعلى إحداكن ميج أو أنت جو أن تبقى في المنزل لكي تساعدني بالعناية ببيث إلى أن تتماثل للشفاء."

قالت ميج: "سوف أقوم أنا بذلك فأنا الأكبر سنًّا."
وقالت جو: "لا، عليّ أنا القيام بذلك؛ لأنها كانت غلطتي. كنت قد وعدت والدتنا بأن أتولى رعاية تلك العائلة الفقيرة، ثم تقاعست عن ذلك."
سألت حنا بيث: "من ترغبين أن تبقى معك بيث؟ فنحن لا نحتاج سوى لشخص إضافي واحد."
كانت بيث قد أسندت رأسها على ذراع جو وقالت:
"أرجوك جو ساعديني." وبذلك كان الأمر قد حُسم.
كانت ميج قد شعرت بالقليل من الامتعاض، لكنها بذات الوقت شعرت بالراحة؛ لأنها لم تكن تميل إلى التمريض بينما كانت جو تحب ذلك، ثم قالت: "سوف أذهب إلى إيمي."
أما إيمي فقد رفضت في البداية الذهاب إلى بيت العمة مارش، وقالت بأنها تفضل أن تصاب بالحصبة، لكن لوري بعد الكثير من البكاء، كان قد تمكّن من إقناعها بذلك بأن وعدها بأن يزورها يوميًّا إلى أن تشفى بيث، سألته:
"هل ستقوم باصطحابي في عربتك."
وأجاب لوري: "نعم، كما سأصطحبك إلى المسرح لو رغبت بذلك."
قالت إيمي من جديد: "وهل ستعيدني إلى المنزل بعربتك عندما ستشفى بيث."
وقال لوري: "نعم، أعدك بأنني سوف أعيدك على الفور من شفائها."
وبذلك كان الأمر قد حسم وكانت إيمي قد ذهبت برفقة جو ولوري إلى بيت العمة مارش.
كانت العمة مارش قد استقبلتهم بمزاجها السيئ المعتاد، كما وجّهت إليهم العديد من الاستفسارات والعديد من الملاحظات المزعجة، ثم قالت بعد ذلك:
"بإمكان إيمي أن تبقى هنا على أن تساعدني، وعلى ألا تصاب بالمرض، رغم من أنني أعتقد بأنها لابدّ أن تصاب هي أيضًا بالحصبة، فأنا أرى علامات المرض على وجهها."

ثم التفتت إلى إيمي وقالت لها: "لا تبكي يا طفلتي، فأنا لا أحب استقبال الأشخاص الذين يبكون في منزلي."

وكانت إيمي بعد أن غادرت جو ولوري وبقيت بمفردها مع العمة مارش وببغاءها الغبي قد حدثت نفسها:

"لست أرغب بالبقاء هنا على الإطلاق وقد لا أحتمل ذلك لكنني سأحاول..."

الفصل السادس عشر

أيام عصيبة

كانت بيث قد أصيبت بالفعل بالحصبة (الحمى القرمزية)، وكانت صحتها قد تراجعت أيضًا بشكل كبير. لم تكن لدى الفتيات أية فكرة عن التمريض وبذلك كانت حنا تقوم بكل ما يلزم للعناية بها بينما تولت ميج تدبير الأمور المنزلية. لم تكن ميج قد أعلمت والدتها بمرض بيث وإن كانت في الحقيقة لا ترغب بإخفاء الأمر عن والدتها لكن حنا كانت قد قالت لها: "من غير المناسب أن تُقلقي السيدة مارش بمثل هذا الأمر البسيط ما دام بإمكاني أن أتصرف فليست هناك حتى الآن أية خطورة على بيث."

لكن وضع بيث كان قد ساء شيئًا فشيئًا إلى أن لم يعد بإمكان بيث أن تتعرّف حتى على وجوه شقيقاتها، كما كانت في كثير من الأحيان تنادي والدتها ما جعل جو تشعر بالخوف. ثم كانت قد وصلتهن بذات الوقت رسالة من واشنطن أعلمتهن فيها والدتهن بأن المرض قد عاود السيد مارش وبذلك قد لا يكون بإمكانها العودة قبل أن يتعافى وقد يستغرق ذلك وقتًا طويلًا.

كانت تلك الأيام بالفعل من الأيام العصيبة جدًّا على الفتيات. كان الجميع قد شعروا بمدى محبتهم وتعلقّهم بتلك الفتاة الرقيقة الطيبة ما جعلتهن يُدركنّ ما كانت تتمتع به من غيرية ومن عطاء غير محدود.

كانت جو تقضي معظم الوقت إلى جانب سرير شقيقتها المريضة، وهي دومًا على أهبة الاستعداد لتلبية ما قد تطلبه منها. أما بيث فكانت وهي مستلقية على سريرها إما أن تهذي أو أن تغرق في نوم عميق الذي كان الشيء الوحيد الذي يجعلها ترتاح .

كانت الثلوج والعواصف العاتية قد بدأت تهب منذ اليوم الأول لشهر (ديسمبر/كانون الأول)، وكان الطبيب في الزيارة الأخيرة لمريضته قد نظر إليها مطوّلًا وبعد أن أمسك بيدها المحمومة قد قال لحنا بصوت خافت:

"لو كان بإمكان السيدة مارش أن تترك زوجها فسوف يكون من الأفضل أن تعود بأسرع وقت لكي تكون إلى جانب ابنتها."

كانت حنا قد هزت رأسها فلم يكن بإمكانها أن تقول شيئًا، بينما كانت ميج لدى سماعها ما قاله الطبيب قد انهارت وجلست على أقرب مقعد. أما جو فكانت للحظة قد ظلت هادئة وقد شحب وجهها إلى حدّ كبير، ثم اندفعت إلى خارج الغرفة وارتدت معطفها لكي تذهب إلى مكتب البريد وترسل برقية لوالدتها. عندما عادت بعد قليل كانت قد قابلت لوري الذي كان يحمل رسالة من السيد بروك يقول فيها بأن الوضع الصحي للسيد مارش قد عاد للتحسن من جديد. لكن وجه جو الشاحب جعل لوري يسألها على الفور:

"ما الأمر؟ هل ساءت حالة بيث؟"

قالت جو: "قمت الآن بإرسال برقية لوالدتي لكي تعود بأسرع وقت ممكن."

قال لوري: "حسنًا. هل فعلت ذلك من نفسك؟"

أجابت جو: "لا، كان الطبيب هو من طلب منا ذلك."

هتف لوري بصوت مرتعش: "لا... لا... جو لا تقولي هذا، فليس وضع بيث سيئًا إلى هذا الحد."

وكانت جو قد أجابت: "بل هو كذلك مع الأسف، فهي لم تعد تتعّرف على أيٍّ منّا، كما أنها لم تعد تُشبه بيث التي نعرفها. كما أن ليس لدينا من بإمكانه أن يساعدنا بعد غياب والدنا ووالدتنا."

وكان لوري قد أخذ يد جو بين يديه وقال وهو يحاول ألا يبكي هو أيضًا:

"لكنني هنا يا جو، وسوف أكون دومًا إلى جانبكم."

كان ذلك كل ما بإمكانه أن يفعله أو يقوله فلم تكن الكلمات قد أسعفته بأكلها ذلك . وقف صامتًا وكان ذلك أفضل ما فعله؛ لأن جو كانت قد شعرت بذلك بمقدر

مشاركته لها، وبما يمكن أن تمنحه لها تلك المشاركة وذلك التعاطف من محبة وعزاء، وكانت قد جففت دموعها بعد قليل ونظرت إليه، وهي تبتسم وقالت جو: "شكرًا لك، بدأتُ أشعر الآن بأنني بوضع أفضل."

قال لوري: "عزيزتي جو! عليك ألا تفقدي الأمل كما أن والدتك ستكون هنا عما قريب."

وكانت جو قبل أن يتوجه نحو منزله قد أضافت:

"شكرًا لك ثانية لوري، فأنت بالفعل صديق مخلص جدًّا."

قال لوري: "والآن سوف يكون آخر ما سأقوله لكِ لكي تشعري بالعزاء هو أنني كنت أمس قد أبرقت بنفسي لوالدتك، وكان السيد بروك قد أجاب برقيًّا بأن والدتك سوف تعود على الفور، وسوف تكون هنا الليلة... أترين، سوف تكون الأمور على ما يرام. هل أنت راضية على ما فعلته؟"

أجابت جو: "لوري العزيز! أنت بالفعل طيب جدًّا؛ لأنك فعلت ذلك رغم اعتراض حنا."

كان لوري قد شعر بالكثير من السرور بذلك وكانت جو قد عادت على الفور إلى المنزل، وأعلمت ميج وحنا بذلك وقالت:

"أنا سعيدة جدًّا؛ لأن والدتنا سوف تصل الليلة."

قالت حنا: "هذا الفتى هو الشخص الأكثر تطفلًا ممن قابلتهم طوال حياتي، لكنني أسامحه وأرجو أن تصل السيدة مارش بأقرب وقت."

وكانت كلٌّ من الفتيات قد قبّلت الأخرى بكل بهجة وهي تردد:

"حمدًا لله سوف تصل والدتنا اليوم، وسو ف تصبح جميع الأمور على ما يرام."

لكن بيث ظلّت طوال اليوم محمومة غائبة عن الوعي وكانت من وقت لآخر تفتح شفتيها وتقول: "ماء... أريد ماءً."

كانت كلٌّ من ميج وجو قد أمضتا الليلة إلى جانبها وهما تنتظران وتأملان. كم كانت ساعات تلك الليلة تمر ببطء! ومع ذلك كانت كلٌّ منهما كلما دقت الساعة تزداد أملًا بقرب انتهاء المحنة بعودة والدتهن...

كان الطبيب قد قال بأنه سيعود للاطمئنان على وضع بيث مساءً، وبأن وضعها سوف يتقرر حوالي منتصف تلك الليلة إما للتحسن أو للتراجع. كانت حنا قرب الفجر قد تعبت واستلقت على الأريكة وغرقت بالنوم، بينما جلس لوري على مقعد أمام الموقد يتأمل النيران بكل أسى.

لم يكن بإمكان الفتيات أن ينسين طوال حياتهن تلك الليلة العصيبة التي أمضينها وهن يرقبن وضع بيث وينتظرن قدوم والدتهن. قالت ميج:

"لو أنقذ الله ـ تعالى ـ بيث فلن أتذمر من أيِّ شيء بعد الآن."

وقالت جو: "لو كانت الحياة في كثير من الأحيان بمثل هذا الشكل المحزن فلست أدري كيف سيكون بإمكاننا أن نتعامل مع مثل هذه المعاناة! ولا كيف سنستمر بالعيش!"

وعندما أعلنت الساعة الثانية عشرة، خُيِّل إليهما بأنهما لمحتا بعض التغيير على وجه بيث الشاحب. ثم مرت ساعة أخرى بعد ساعة إلى أن أعلنت الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كانت جو وهي واقفة أمام النافذة قد سمعت حركة من جانب سرير بيث التفتت وإذا بها تشاهد ميج راكعة أمام السرير وقد أخفت وجهها بين يديها. تسمّرت جو في مكانها وقد تملّكها فزع شديد. خطر ببالها بأن بيث قد توفيت وبأن ميج تبكي وتخشى أن تعلمها بذلك...

اقتربت بسرعة من السرير لكن ما شاهدته قد جعلها تشعر بسعادة غامرة؛ لأن تعبير الألم الذي كان يكسو وجه بيث المُحبب الشاحب كان قد تحول إلى تعبير عن الراحة والسكينة...

لم تكن جو قد شعرت بالرغبة بالبكاء، وإنما كانت قد انحنت نحوها وقبّلت ذلك الوجه الملائكي، وهي تقول بكل رقة: "وداعًا يابيث الغالية... وداعًا ياحبيتي..."

لكن حنا التي استيقظت عندما سمعت ذلك الصوت كانت بعد أن نظرت إلى بيث قد أحاطتها بذراعيها وهمست بصوت خافت: "الحمد لله... الحمد لله... إنها الآن بخير وهي تنام بسلام."

وقبل أن تتمكن الفتيات من تصديق تلك الواقعة السعيدة، كان الطبيب الذي جاء للاطمئنان عن وضع بيث بعد أن نظر إلى وجهها الملائكي قد ابتسم، وقال بلهجة أبوية:

"نعم، يا فتياتي العزيزات، أعتقد أن الصغيرة سوف تتحسن. دعوها تنام بهدوء وعندما ستستيقظ أعطوها..."

لكن لم تكن أيٌّ منهن قد سمعت ما قاله الطبيب. كانت كلٌّ منهما قد عانقت الأخرى دون أن تنبس ببنت شفة لشدة الفرح والسعادة التي غمرت قلبيهما.

ثم قالت جو وقد بدأ الفجر يبزغ: "يا ليت والدتنا تصل الآن."

قالت ميج وهي تنظر إلى الحديقة: "انظروا إلى هذه الوردة البيضاء الرائعة، لقد تفتحت هذه الليلة سوف أقتطفها وأضعها أمام بيث لكي يكون أول ما ستراه عندما ستفتح عينيها هو وجه والدتنا الحبيبة وهذه الوردة الصغيرة."

ثم صاحت جو: "هل سمعتم؟" كان ذلك صوت عجلات العربة.

وكانت حنا قد صاحت أيضًا ما جعل لوري يقفز على قدميه:

"ها قد وصلت والدتكن... أصبحت والدتكن هنا... وصلت وصلت والدتكن..."

الفصل السابع عشر

الحقول الخضراء

كم كان ذلك اللقاء رائعًا بين تلك الأم وبناتها بعد تلك الأيام والليالي الطويلة من القلق والحزن! كانت السعادة قد حلّت في ذلك المنزل. وكان أمل ميج قد تحقق؛ لأن أول ما شاهدته بيث عندما فتحت عينيها كان وجه والدتها وتلك الوردة البيضاء الصغيرة. لكنها كانت متعبة جدًّا؛ لذا لم تكن قد قالت شيئًا وإنما كانت قد ابتسمت فقط، وغرقت بالنوم من جديد بين ذراعيْ والدتها.

كانت الفتيات قد استمعن بعد ذلك إلى ما روته والدتهن عن وضع والدهن الصحي، وعن المساعدة التي قدمها إليهما السيد بروك، وكيف كانت السيدة مارش قد شعرت بالكثير من الراحة والاطمئنان عندما شاهدت لوري بوجهه المشرق بانتظارها في المحطة.

وكانت الأسابيع التي تلَتْ قد حلَتْ على ذلك المنزل الصغير، وعلى تلك العائلة كما لو أن الشمس قد أشرقت عليه بعد العاصفة. كان كل من السيد مارش وبيث قد بدآ يتماثلان للشفاء بسرعة، وكان السيد مارش قد أرسل رسالة لزوجته قال فيها بأنه سوف يعود مع مطلع العام الجديد.

ثم أصبح بإمكان بيث أن تستلقي على الأريكة في غرفة الجلوس، لكنها كانت لا تزال مُنهكة القوى بحيث كان على جو أن تحملها بين يديها لكي تتجول في الحديقة إلى أن أصبحت قادرة على المشي من جديد وبذلك وعندما اقترب يوم عيد الميلاد كانت الفتيات قد استعدن حماسهن وبدأن التخطيط لكي يكون الاحتفال بذلك اليوم بشكل خاص من الأيام السعيدة، فقد كان العام المنصرم قد حمل لتلك العائلة الكثير من الأحزان ولكن كانت فيه أيضًا بعض المباهج.

كان جو ولوري قبل أيام من يوم الميلاد قد خططا لأمر أخفياه عن الجميع إلى أن حلّ يوم عيد الميلاد وحان الكشف عن ذلك المخطط .

كان كلٌّ منهم قد تلقّى الهدايا واستطاعت بيث أن تنهض من فراشها وأن ترتدي ملابسها التي أهدتها إليها والدتها، وكانت قد حُملت إلى جانب النافذة كي يكون بإمكانها أن تشاهد الهدية التي أعدّتها لها جو مع لوري.

كانت تلك مفاجأة غريبة، كان هناك في الحديقة تمثال من الثلج لسيدة على رأسها تاج من ورق الغار تحمل بإحدى يديها سلّة مليئة بالفاكهة والورود وتحمل باليد الأخرى كتابًا للألحان الموسيقية، وتتدلى من بين شفتيها ورقة طويلة كتبت عليها إحدى أغنيات عيد الميلاد مع عبارة:

"ليباركك الله أيتها الغالية بيث، ولتكوني على الدوام في غاية السعادة وبأحسن صحة، ولتكن جميع أيامك من الأعياد البهيجة. تقبّلي المحبة ممن صنعا هذه الخادمة الثلجية."

كم كانت بيث قد ضحكت عندما شاهدت ذلك التمثال الثلجي!... كان لوري قد ركض بعد ذلك وناولها الهدايا التي كان كل فرد من العائلة قد اشتراها لها قالت بيث:

"أنا الآن في غاية السعادة، لكنني كنت أتمنى فقط أن يكون والدنا معنا."

ثم قالت: "لم يعد بإمكاني أن أقف على قدمي." وبذلك حملتها جو من جديد إلى غرفتها لكي تستريح من كل تلك الانفعالات والإثارة.

قالت جو: "أنا أيضًا سعيدة جدًّا اليوم." وكانت قد لمست في جيبها كتابًا مصورًا يحتوي على المجموعة القصصية التي تم نشرها لها مؤخرًا.

قالت إيمي التي كانت تحمل بيدها مجموعة اللوحات التي أهدتها لها والدتها:

"وأنا أيضًا سعيدة جدًّا."

ثم قالت ميج: "وأنا أيضًا بالطبع." وكانت تحمل المعطف والثوب الحريري اللذين أهداهما لها السيد لورانس.

أما السيدة مارش فقالت وهي تتنقل ببصرها بين الرسالة التي كانت قد وصلتها من زوجها وبين ابنتها بيث التي كانت قد تعافت:

"وكيف لا أكون أنا أيضًا سعيدة!"

وهكذا فقد تحدث الأمور من حين لآخر كما في القصص. كم كان ذلك مبهجًا! فبعد حوالي النصف ساعة وبعد أن كان كل منهم قد عبّر عن سعادته، وقال بأن ذلك أقصى ما يتمناه، كان لوري قد فتح باب غرفة الجلوس وقال وهو في غاية الحماس:

وهذه هي هدية السيدة مارش.

وقبل أن يُنهي كلامه كان رجل طويل القامة بوجه مغطى بكامله لاتظهر منه سوى العينان قد وقف أمام لوري، حاول أن يقول شيئًا لكنه لم يفلح وللحظة كان الجميع قد وقفوا مشدوهين دون أن يتكلم أحد إلى أن كان السيد مارش قد أظهر نفسه... أصابت الدهشة وغمرت قلوب الفرحة ما جعلهم في غاية الإثارة والاضطراب، لكن السيدة مارش كانت أول من تمالكت نفسها وأمسكت بيد زوجها المرتعشة وقالت:

"اصمتوا، تذكروا بيث." لكن ذلك كان متأخرًا؛ لأن الباب كان قد فُتح، واندفعت منه بيث إلى ذراعيْ والدها...

لم يكن هناك ما هو أسعد من يوم الميلاد ذاك. كانت جميع الأمور قد تحولت إلى الأفضل... كان السيد لورانس وحفيده والسيد بروك قد تناولوا العشاء مع تلك العائلة الطيبة السعيدة، وبذلك كان الجميع في غاية البهجة والسعادة .

ثم غادر الضيوف لكي يتركوا للعائلة فرصة الجلوس معًا بخصوصية حول الموقد الذي كانت تلتهب فيه النيران، بينما أدفأت القلوب حرارة المحبة وحلّ فيها السكينة والسلام...

قالت جو: "هل تذكرون كيف كنا في مثل هذا اليوم من العام الماضي؟ وكم كنا نتوجس من أن يكون يوم الميلاد القادم تعيسًا بالنسبة إلينا؟"

همست بيث التي كانت جالسة في حجر والدها: "أنا سعيدة؛ لأن العام قد انقضى، وسعيدة أكثر؛ لأنك عدت إلينا من جديد."

أما السيد مارش فقال:

"صغيراتي الغاليات! لابد أن الطريق التي سلكتموها خلال العام الماضي كانت بالأحرى قاسية عليكن، وبشكل خاص في المدة الأخيرة، لكنني أعلم بأنكن واجهتن كلَّ ما مر فيها من متاعب ومشكلات بشجاعة ومثابرة."

قالت جو: "كيف علمت بكل ذلك يا أبي؟ هل كانت أمي من أعلمتك بذلك؟"

قال السيد مارش: "حسنًا لم تكن والدتكن قد حدثتني كثيرًا عن ذلك، لكنني اكتشفته بنفسي اليوم من بعض الأمور التي لمستها الآن."

سألته ميج بلهفة: "ما هي تلك الأمور؟ أرجوك يا أبي أن تُعلمنا بالأمور التي جعلتك تكتشف ذلك."

كان السيد مارش قد أخذ بيدي ميج التي كانت جالسة بالقرب منه وقال :

"لمستها بهاتين اليدين اللتين أصبحتا خشنتين وعليهما آثار حرق بسيط. فأنا أذكر بأنك كنت تحرصين دومًا على أن تبقى يداك جميلتان ناعمتان، لكنهما أصبحتا الآن أجمل بالنسبة إليّ أنا فخور بك؛ لأن في هذا الدليل على التضحية، ولكن يبدو أنني سوف أتخلى عنهما عما قريب لأن عليّ أن أوافق على من طلب يدك مني."

ولم يكن بما قاله والد ميج أكثر مما كانت تتطلع إليه ميج تقديرًا لتضحيتها...

قالت بيث التي كانت لاتزال جالسة في حجر والدها:

" أبي، أرجو أن توجّه إليها أيضًا بعض الكلمات الطيبة. كانت طيبة جدًّا معي، وقد رعتني طوال الليل والنهار." قال والدها وهو ينظر إلى جو:

"ما أشاهده الآن أمامي شابة شحب وجهها لما بذلته من الكثير من العناية والرعاية اللتين التي أولتهما لك، لكن كان لذلك أثره الجيد أيضًا، لكن أصبحت جو أكثر رقة كما أصبحت تتصرف الآن بأسلوب الأم الحنون، وهذا ما أسعدني جدًّا. وعلى الرغم من أنني بالطبع لا زلت أفتقد ابنتي المُتهورة التي كانت سابقًا،

لكنني حصلت الآن على ابنة متفانية طيبة وقوية بذات الوقت. لست أدري فيما إذا كان لشعرها الجميل الذي قصته علاقة بالأمر وبمثل هذا التغيير، لكن ما أعلمه جيدًا هو أنني في كل واشنطن لم أكن قد وجدت ما هو أثمن لكي أشتريه لابنتي الطيبة هذه بالمال الذي أرسلته إليّ..."

كانت عينا جو قد اغرورقتا بالدموع، رغم أنها شعرت بأنها لا تستحق حتى القليل من ذلك المديح.

قالت إيمي: "والآن ماذا عن بيث؟"

قال والدها: "لاشك أن هناك القليل جدًّا مما يمكنني أن أقوله."

وكان قد ضم ابنته إلى صدره وقال:

"كم كنت أخشى أن أفقدك يابيث! أشكر الله طوال حياتي؛ لأنه أنقذك و حماك."

وكان بعد لحظات من الصمت كانت فيها إيمي تتوق لسماع ما يخصّها قد لمس شعرها الأشقر الحريري وقال:

"ما لاحظته هو أن إيمي قد أصبحت على استعداد لمساعدة كل من حولها. وبأنها قد ساعدت والدتها طوال اليوم؛ لذا فأنا أرى بأنها قد تعلمت الكثير، وبأنها أدركت كيف أن عليها أن تفكر بالآخرين أكثر من تفكيرها بنفسها. سوف أكون فخورًا بكل لوحة سوف ترسمينها يا إيمي الصغيرة، لكن هذا لن يعادل فخري بك الآن لأنني أرى أمامي ابنة محبة تسعى لأن تكون حياة كل من حولها سعيدة..."

وكانت بيث بعد أن شكرت الفتيات والدهن قد قالت:

"قرأت اليوم في كتاب الرحلة بأن من يسعون للفضيلة قد يتعرضون للكثير من المعاناة والمتاعب إلى أن يصلوا إلى ذلك الحقل الأخضر ويجدوا فيه السكينة والسعادة." ثم أضافت:

"حان الوقت لكي ننشد معًا."

وكانت قد تركت حجر والدها وتوجهت إلى البيانو، وقالت:

"سوف أعزف الآن تلك الأغنية التي أنشدها ذلك الفتى عندما وصل إلى الحقل الأخضر فقد أعددت لها لحنًا بنفسي؛ لأنني أعلم بأن والدي يحب تلك الأغنية."

ثم بدأت بيث تعزف بينما أنشد الجميع معًا:

من لا يرتكب الآثام لن يخشى السقوط...

ولابد أن يكون الله ـ تعالى ـ مرشد وسند من يتوكل عليه ومن يُعرض عن التكبر...

وأنا أتوسل إلى الله ـ تعالى ـ فقط؛ لأنه المنقذ الوحيد...

وبذلك كانت رحلة السعي نحو الفضيلة لتلك العائلة قد انتهت وكان السلام قد ساد حياتها كما غمرت السكينة والسعادة قلوب جميع أفرادها ...

ترجمة أمل عمر بسيم الرفاعي

السيرة الذاتية

الكاتبة لويزا ماي ألكوت

ولدت في العام ١٨٣٢ في ولاية بنسلفانيا، وكانت عائلتها قد انتقلت إلى بوسطن حيث توفيت هناك في العام ١٨٨٨ .

كان والدها مدرسًا، وكان قد أسس مدرسة للمتفوقين كما كان من الدعاة إلى الفضيلة والكمال. لم تكن لويزا ماي ألكوت كاتبة فقط لقصص الأطفال، وإنما كانت في بداية حياتها قد عملت مدبرة منزل، كما كانت قد عملت ممرضة أثناء الحرب الأهلية الأمريكية.

وقد أصبحت لويزا ألكوت من مشاهير الكاتبات ومن صاحبات الملايين بعد أن نالت كتاباتها تلك الشهرة العالمية، وبشكل خاص قصة "نساء صغيرات" وهي قصة موجهة للناشئين .

كما كانت قد كتبت أيضًا تحت اسم مستعار العديد من القصص الموجهة إلى من هم في سن الشباب عالجت فيها مواضيع الإدمان والمخدرات والجريمة والفساد الأخلاقي .

لديها أيضًا العديد من القصائد الشعرية ومن أشهر مؤلفاتها القصص التالية:

نساء صغيرات ـ رجال صغار السن ـ الوردة المتفتحة ـ ما الذي فعلته طيور السنونو ـ زوجات صالحات ـ تحت أشجار السوسن ـ اللعبة الخطرة وغيرها...

تلقّت ألكوت تعليمها على يد هنري دافيد ثورو، وكذلك لدى بعض الكتاب والمدرسين الآخرين، ومنهم: مارغريت فولير، ورالف إيمرسون. لكن القسم الأكبر من دراستها كان على يد والدها الذي كان من التربويين المؤمنين بالفضيلة والعطاء ونكران الذات.

قائمة بالمؤلفات التي تم نشرها للكاتبة أمل الرفاعي:

ترجمات مختارة من قصص الكاتب مارك توين

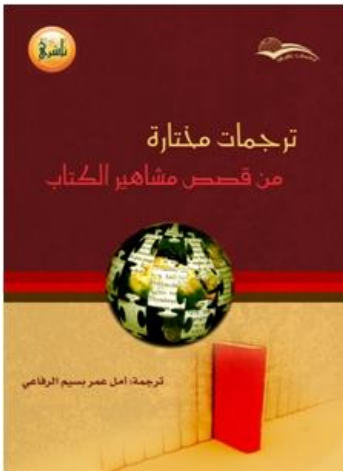

ترجمات مختارة من أشهر قصص الكتاب العالميين

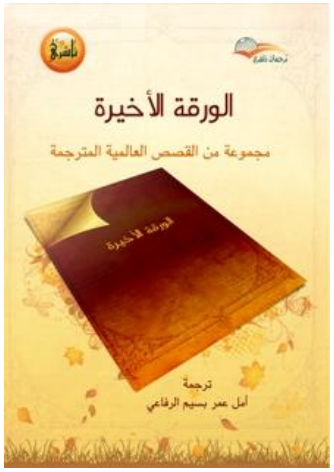

الورقة الأخيرة

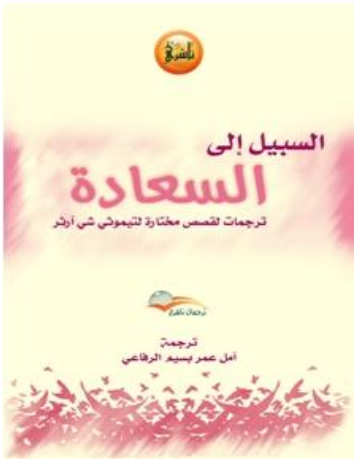

السبيل إلى السعادة

السبيل إلى السكينة

إكليل الزهور

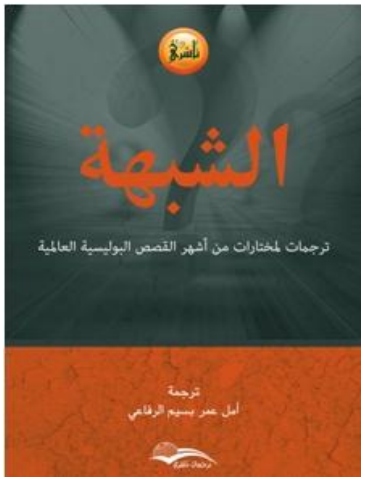

الشـــــبهة

مجموعة القصص
الموجّهة للناشئين

المرأة اللغز

قوة الإيمان

المجموعة الثانية من
القصص الموجهة
للناشئين

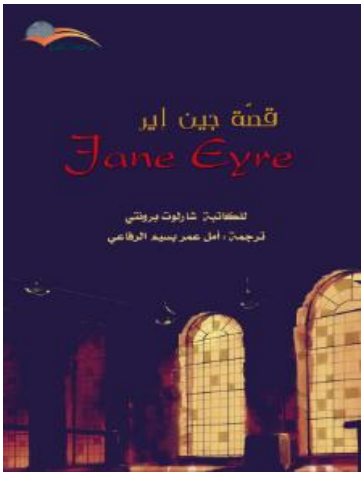

قصة جين أير

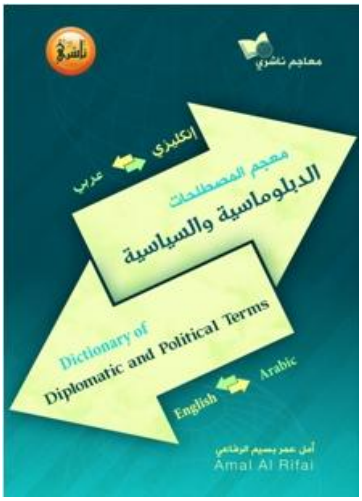

قاموس المصطلحات
الدبلوماسية والسياسية

قاموس المصطلحات
الإدارية والاقتصادية

قاموس المصطلحات
القانونية والدبلوماسية

قاموس مصطلحات
إدارة الأعمال

نماذج لأصول المراسلات
الإدارية والتجارية

قائمة بالمقالات التي تم نشرها

- كلمة الشكر وحسن التعامل مع الآخرين.
- محكمة التاريخ.
- الفساد الأخلاقي.
- الطموح والقناعة.
- قانون الأخلاق.

قائمة بالقصص القصيرة التي تم نشرها

- حديث المرأة.
- سارة والوردة الأخيرة.
- تضحية أم.
- الشمعة رمز العطاء والإيثار.